جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات في الإسلام

فلسفة الحضارة الإسلامية

تأليف
الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

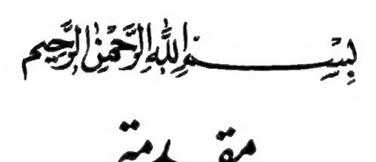
القاهرة
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
دراسات في الإسلام

فلسفة الحضارة الإسلامية

تأليف
الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

القاهرة
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى جاد على كل حى بما اليه حاجته ، ووهب الانسان عقلا به انكشف القناع عن المجهول ، واشرقت على النفس اسرار الموجودات ، وتجلت معرفة صانع الوجود ، ومن اليه ينتهى كل موجود .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، قدوة أهل الحق والباحثين عن اليقين .

اما بعد .

فان لكل مقصد وسيلة ، ولكل غاية بداية .. وعلى قدر عظم المقصد والغاية ، تكون الوسيلة والبداية .

ولقد كانت العقيدة فى حياة المسلمين هى النافذة التى يطلون منها على العوالم الحية ، بكل شعوب هذه العوالم ، وجنبات جوانب العيش فيها .. كما كانت العقيدة ذاتها هى المنظار الذى ترى بواسطته كافة حقائق العلوم والوجود ، ويفسر على ضوئه مجراها ومرساها .

ان مصدر الفاعلية فى عقيدة احتوتها رسالة الاسلام . كان الأس الفكرى والروحى لاطار حضارى ، يحدد لانسان العقيدة « المؤمن » بها ، والمؤتمن على سيادة فكرتها وفلسفتها ، اسلوب التعامل والرقى ، وان تحديد الموقف الحضارى الذى يلتزمه المسلم فى مختلف الأحوال والظروف ، امر يقع فى الصميم من مهمات المؤمنين بالله . والموقف الحضارى هذا لا يكون حضاريا ما لم يحكم بحركة الانسان وتواجداته وانطلاقاته ، والا فهو موقف نظرى بعيد عن الحضـــارة ، ليس مكانه ســاحات المخمصـــة ، والممارســـة ، والاستيعاب .

والانسان المعـــاصر يعيش فى هذا العصر على تفتح واع ، وانفتاح على حضارات الآخرين .. وليس هذا التفتح والانفتاح فكرة طارئة على حياة الجيل المعاصر . بل انها الظاهرة التى تجد سندها فى صميم التواجدات الانسانية ، والتحولات المصيرية ، فى دنيا تستقطب الآمال والنشاطات ، وتثير الهمـــوم ، وتســـتثير الاهتمامات .

ولئن كان الدين الاســـلامى امتاز بانه مؤسس الحضـــارة الانسانية من حيث الاهتمام بحرية الفكر ، واعزاز حرية وحقوق الانسان ، وتشجيع العلم ، والدعوة الى المســـاواة بين الناس فى ظل اخاء شـــامل ، وعدل تام ، واعتزاز بالمثل العليا ، والقيم الخلقية السامية .. فان واقع الامر يبين للنـــاس اجمعين ، ان الحضارة الانسلامية استمدت مقوماتها من الاســـلام ذاته . لأن

الاسلام اطار للانسان الحى ، والمجتمع القوى ، للانسان صاحب الارادة والعزم ، وللمجتمع العطوف المتواد .

والدين الاسلامى يحتوى فى فكره الحضارى :

— على امتداد زمانى فى الفكر الدينى يعرض لقضية البشرية كلها من نشأتها الى غايتها ، فى دقة ، وعمق ، ووضوح .

— وعلى امتداد موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعها : اقتصادية ، واجتماعية ، وعقدية ، وتربوية ، وفكرية ، واحداثا تاريخية .

— وعلى استمرارية الاسلام الذى هو دين الانبياء جميعا ، لكنه جاء على يد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم شاملا لكل البشر ، ولكل العصور .

— وعلى شموله للدعوة الاسلامية ، وانها لا تقتصر على جنس دون جنس أو قوم دون قوم ، وانما تنظر الى الانسان فى جوهره ، وترد التفاضل الى التقوى .

والدعوة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار . وبالتالى تمكن الاسلام من أن ينشر الطابع الحضارى الخاص به . ومن حق القلم ان يكتب عن الحضارة الاسلامية واسهامها فى الفكر الانسانى، ومن حق القلم أن يحذر من الاقليمية ، والشعوبية ، والعصبية .

فان هذه امور تشكل أزمة نفسية خطيرة ، تقف حجر عثرة أمام تقدم الحضارة الاسلامية .

ولعلنا ولهذا السبب نجد ان الاسلام فى توجيه الانسان يقدر « الكيف » والنوع ، أكثر مما يقدر « الكم » فقوة المسلمين فى قوة القلوب والأعمال ، وقوة العقول بالمعارف ، وقوة الارادات بالسلوك المستقيم .

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

مدرس العقيده والفلسفة بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر

القسم الأول

الإسلام والإنسانية

إنسانية الإنسان

أن الاســـلام ينظر الى الانســـانية عامـــة ، نظرة التكريم والاحترام ، ويرتب على ذلك حقوقا عامة لجميع البشر .

فالعدل ، والرحمة ، والمساواة ، فى الحقوق والواجبات .. أمور يفرضها الله لجميع الناس ، ما لم يكن اعتداء ، وخروج على سنن الله .

قال تعالى :

﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]

فكرمنا فى الآية الكريمة ، تضعيف « كرم » أى جعلنا لهم كرما ، وشرفا ، وفضلا .. وهذه الكرامة ، يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة ، فى امتداد القامة وحسن الصورة ، وحملهم فى البر والبحر .. مما لا يصح لحيوان سوى بنى آدم أن يحمل بارادته ، وقصده ، وتدبيره .

---

(1) سورة الاسراء . الآية رقم ٧٠ .

وتخصصهم بما خصصهم الله به ، من المطاعم ، والمشارب ، والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان ، اتساع بنى آدم ، لانهم يكسبون المال خاصة ، دون الحيوان ويلبسون الثياب ، وياكلون المركبات من الاطعمة .. وغاية كل حيوان ، أن يأكل لحما نيئا ، او طعاما غير مركب .

والصحيح الذى يعول عليه .. أن التفضيل انما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف ، وبه يعرف الله ، ويفهم كلامه ، ويوصل الى نعيمه ، وتصديق رسله .

فالناس جميعا ، على اختلاف اجناسهم ، وتمايز الوانهم ، وتباعد ديارهم واقطارهم ، يرجعون الى أب واحد ، واصل واحد.

وكثيرا ما ذكر الله سبحانه وتعالى ، هذه الحقيقة ، فى آيات من القرآن الكريم وبينها فى أساليب شتى ، وبعبارات رائعة .

ولماذا كل هذا الاهتمام ؟ لا شك أنه لكى يرعى الناس هذا الاعتبار ويعيشوا فى اخاء ، وتعاون ، وتعارف ، وتبادل .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء الآية الأولى .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]

فالله هو الذى أنشأ الانسانية ، من نفس واحـدة ، وهى الانسان الأول ، الذى تسلسل منه سائر الناس ، بالتوالد .. وهو آدم عليه السلام .

وفى انشاء جميع الناس من نفس واحده ، آيات بينات ، على قدرة الله ، وعلمه وحكمته ، ووحدانيته .

وفى التذكير بذلك .. ايماء الى ما يجب من شكر نعمته ، وارشاد الى ما يجب من التعاون ، والتعارف ، بين البشر .

وأن يكون هذا التفرق الى شعوب وقبـائل .. مدعاة الى العمل الجاد والتعاون الصادق .. لا الى التمادى والتقاتل ، وبث روح العداوة ، والبغضاء بين الناس .

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٩٨ .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (١)

كذلك احاديث الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، تجيء مذكرة الناس بحقيقة رجوعهم الى اب واحد .. تأكيدا ، وتوضيحا ، لتعاليم القرآن الكريم ، وتقريرا لمبادئه وآدابه .

روى الطبرانى ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، خطب الناس ، بمنى فى وسط أيام التشريق ، وهو على بعير .. قال : **(يايها الناس الا ان ربكم واحد وان ابلكم واحد الا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على أسود ، الا بالتقوى .. الا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال : فليبلغ الشاهد الغائب) .**

وعن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **(ان الله لا ينظر الى احسابكم ، ولا الى انسابكم ،**

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

ولا الى اجسامكم ، ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه . وانمـــا انتم بنو آدم واحبكم اليه اتقاكم) .

فاهتمام الاسلام بالناس ، فيه ترسيخ معنى الانسانية العام، فى نفس المسلم الذى يقرأ القرآن ، ويستمع اليه ، ويعمل به .. كما ان هـــذا كله .. يبين وحـــدة الجنس البشرى .. والقرآن الكريم .. لا يخاطب العرب فقط ، ولا قومية معينة ولا شعبا معينا .. بل يخاطب الانسان بوجه عام .

ومن هذا تعرف ان الاســـلام ، يلائم الفطرة التى فطر الله الناس عليها فهو يؤكد فى وضوح أن الدين الاسلامى ، قد نظر نظرة خاصة فاحصة ، دقيقة للانسان فى ذاته وتركيب كيانه النفسى ، والخلقى ، والاجتماعى .

ونظر الى الحياة التى يحياها هذا الانسان فى دنياه .. فعنى بالحياة ، والأحياء .. ورســـــم لهما اكمـــل صـــــورة ، تلائـــم ما يصلحهما معا .

فالحياة فى الاسلام .. تخضع لنظام دقيق ، ولا يسمح لجانب منها ، أن ينمو على حساب جانب آخر .. وانما تتوازن جوانب الحياة كلها ، على نسق فريد جاء به الاسلام دون سواه ، من الأديان .. هذه نظرة الاســـلام للحياة .. وأما الأحياء من بنى البشر ، فان الاسلام نظر اليهم نظرة العارف بأسراهم وما يصلحهم .

واعترف الاسلام بأن للانسان مطالب ، لروحه ، وعقله ، وبدنه .. ونظمها بحيث تحقق له أفضل الوان الحياه .

الانسان فى داخل نفسه ، ومع حاجاته الذاتية الروحية ، والعقلية ، والبدنية والانسان فى أسرته .

والانسان مع المجتمع ، والانسان مع الكون كله ، الانسان فى كل هذه المجالات موضع اهتمام الاسلام ، ومن أجله شرع تلك النظم الخالدة ، الصالحة لكل زمان ومكان ، والمحققة للسعادة فى الدنيا والآخرة .

وانسانية الانسان فى الاسلام حقيقة حية ، والأسرة الاجتماعية فى الاسلام حقيقة حية .

والنوع الانسانى الذى تنتهى شعوبه ، وقبائله ، الى أسرة كبيرة ، يجمعها التعارف هو كذلك حقيقة حية .

والاسلام لا يهدم شيئا من كيان الاجتماع الذى استفاده بنو الانسان من أطوار حياتهم الاجتماعية فى الحقب الطوال .. لأن المفهوم من سير الهداية الالهية كما يسردها القرآن الكريم : ان حياة النوع الانسانى .. تاريخ متصل يتم بعضه بعضا ، وينتهى الى التعارف بين الشعوب والقبائل ، فى أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم الا بالعمل الصالح .. ولهذا يحرص الاسلام على كيان الاجتماع فى الشخصية الفردية وفى الأسرة ، وفى الايمان بوحدة النوع .

لكن ما مكان الانسان من الكون كله .. ؟

ما مكان الانسانية من هذه السيارة الأرضية ، بين خلائقها الاحياء . ؟

ما مكان الانسان بين كل جماعة من هذا النوع الواحد ؟

او هذا النوع الذى يتألف من جملة انواع ، ويضمها عنوان : « الانسان » يقول العقاد : « وهى أسئلة لا جواب لها ، فى غير عقيدة دينية ، تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة ايمانه بغيبها ، تجمع له زبدة الثقة بعقله وزبدة الثقة بالحياه حياته هو.. وحياة سائر الأحياء .. والأكوان .

وهذه العقيدة الدينية التى نستلهم فيها الجواب .. لا توجد اليوم لتنبذ غدا ولا توجد على الأيام للعارفين .. دون الجاهلين.. وللعاقلين دون الخاملين ولمن يطلبون الخير للنـــاس .. دون من يعتقدون تسليما ورهبة .. ولمن يسعون ســعيهم الى العـلم والايمان .. دون من يقعدون فى مواطنهم منتظرين .. وقد يقعدون وهم يجهلون انهم قاعدون ، لا يعلمون ما الخبر ؟ وما المنتظر ؟ ان علموا انهم منتظرون .

هذه العقيدة بنية حية .. قوامها دهور وأمم ، ومعايش ، وآمال ونفوس خلقت ونفوس لم تخلق .

والمنصف لا يستطيع ان ينصح لاهـــل القرآن بعقيـــدة فى الانسان ، والانسانية أصح ، وأصلح من عقيدتهم التى يستوحونها من القرآن الكريم .

الانسان فى عقيدة القرآن هو الخليفة المسئول ، بين جميع ما خلق الله .. يدين بعقله ، فيما رأى وسمع .. ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ومالا تدركه الأبصار والأسماع .

والانسانية من اسلافها الى أعقابها اسرة واحدة لها نسب واحد ، واله واحد ، لفضلها من عمل حسنا ، واتقى سيئا .

والانسان مسئول عن عمله ، ولا يؤخذ فرد بوزر فرد ، ولا امة بوزر امة . قال تعالى :

« كل امرىء بما كسب رهين(١) » . وقال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى(٢) » .

وقال تعالى :

« تلك امة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون(٣) » .

أما مناط المسئولية فى القرآن ، فهو جامع لكل ركن من أركانها ، يتغلغل اليه فقه الباحثين عن حكمة التشريع الدينى أو التشريع فى الموضوع .

فالاسلام الحنيف .. ينظر الى الانسانية نظرة تضعه فوق مستوى الكائنات الحية جميعها ، فى هذا الكوكب الذى اقامه الله تعالى فيه ، ليكون خليفة له عليه .

---

(١) سورة الطور الآية رقم ٢١ .
(٢) سورة الانعام الآية رقم ١٦٤ وسورة الاسراء الآية رقم ١٥ .
(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٣٤ .

وقد استعمل القرآن الكريم ، لفظ الانسان نحوا من ثمانين مرة .. فتحدث عن خلقة الانسان : **« ولقد خلقنا الانســان من صلصال من حما مسنون(١) »** .

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين(٢) » .. **« وبدأ خلق الانسان من طين(٣) »** **« وكان الانسان عجولا(٤) »** .. **وتحدث عن** نفسية الانسان **« ان الانسان لظلوم كفار(٥) »** **«وكان الانسان اكثر شيء جدلا(٦) »** .. **« ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى(٧) »** .

وخاطب الانســان مذكرا : **« يا ايهــا الانســان ما غرك بربك الكريم(٨) »** .

« يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه(٩) » .

وكلمة الناس الدالة على الجنس البشرى ، يتكرر استعمالها نحوا من مائة واربعين مرة .. كثيرا منها ورد خطابا للبشر عموما .. **كقوله تعالى :**

---

(١) سورة الحجر الآية رقم ٢٦ .
(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ١٢ .
(٣) سورة السجدة الآية رقم ٧ .
(٤) سورة الاسراء الآية رقم ١١ .
(٥) سورة ابراهيم الآية رقم ٣٤ .
(٦) سورة الكهف الآية رقم ٥٤ .
(٧) سورة العلق الآية رقم ٦ .
(٨) سورة الانفطار الآية رقم ٦ .
(٩) سورة الانشقاق الآية رقم ٦ .

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا(١) » .

« يا ايها الناس اعبدوا ربكم(٢) » « يا ايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا(٣) » . « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم(٤)» .

وورد فى معرض الحض على تقديم الخير .. « وقولوا للناس حسنا(٥) » ، « والعافين عن الناس(٦) » ، « ولا تبخسوا الناس اشياءهم(٧) » .

« لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس(٨) » . « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل(٩) » .

وكلمة الناس استعملت فى القرآن الكريم ، بمعنى الجنس البشرى عموما ، لا بمعنى المسلمين أو العرب بدليل قوله تعالى فى الآيات التالية ، مما لا يمكن حمله الا على الناس عموما .

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢١ .
(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٦٨ .
(٤) سورة يونس الآية رقم ٢٣ .
(٥) سورة البقرة الآية رقم ٨٣ .
(٦) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٤ .
(٧) سورة الاعراف الآية رقم ٨٥ وسورة هود الآية رقم ٨٥ .
(٨) سورة النساء الآية رقم ١١٤ .
(٩) سورة النساء الآية رقم ٥٨ .

« ان الله لذو فضل على الناس(١) » ، « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس(٢) » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس(٣)» .

فالقرآن الكريم لا يخاطب قومية معينة ، ولا شعبا معينا . . بل يخاطب الانسان بوجه عام . . ويتحـــدث عن الأمم : **« كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم(٤) »** .

واستعمل القرآن كذلك كلمة البشر ، للدلالة على الجنس الانسانى الواحد وقد استعملت هذه الكلمة ، فى أكثر من خمس وثلاثين اية ، كقوله تعالى :

« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا(٥) » ، « وهو الذى خلق من الماء بشرا(٦) » .

وقوله : **« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتــم بشر تنتشرون(٧) »** .

وقوله : **« قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم(٨) »** .

---

(١) سورة غافر الآية رقم ٦١ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٨٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٠ .
(٤) سورة الرعد الآية رقم ٣٠ .
(٥) سورة الحجر الآية رقم ٢٨ .
(٦) سورة الفرقان الآية رقم ٥٤ .
(٧) سورة الروم الآية رقم ٢٠ .
(٨) سورة ابراهيم الآية رقم ١١ .

والآية القرآنية : **« ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى(١)»** تشير بوضوح الى ان كلمة الناس .. تشمل :

أولا : الذكور والاناث .. فهما جنس واحد . كما اشار الى ذلك فى آيات أخرى :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا(٢) » ، « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها(٣) » .

ثانيا : تشير الآية بوضوح الى ان البشرية تتالف من مجتمعات قبلية وشعوب أو اقوام . وكلمة الناس هى التى تعبر عن الجنس العام الذى يشملهم جميعا .

وأخيرا فان الآية تشير الى اتجـاه تطور البشرية ، أسرا وقبائل وشعوبا فى اتجاه التعارف ، والتعارف هو المعرفة المتبادلة من جميع الأطراف .. وهو الشرط الأساسى لتحقيق التعاون الذى أوصى به القرآن فى قوله تعالى :

« وتعاونوا على البـر والتقـوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان(٤) » .

ان الاسلام جاء كما يفهم من النصوص القرآنية ، ليقيم بين البشر جميعا رابطة الانسانية ، القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله الخالق جل وعلا .. فهم جميعا عباد الله .

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .
(٢) سورة الروم الآية رقم ٢١ .
(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٩ .
(٤) سورة المائدة الآية رقم ٢ .

والرسول الذى أمر بتبليغ الاسلام .. خوطب فى القرآن على هذا الأساس « **قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا(١)** » « **وما ارسلناك الا كافة للناس(٢)** » .. « **ليكون للعالمين نذيرا(٣)** ».

ان هذا الاتجاه الانسانى .. ظاهر فى تعاليم الاسلام ، وتوجيهاته والقرآن يصرح بأن الانسان هو خليفة الله فى الأرض .

والقرآن حين يتحدث عن الانسان .. فانه يتحدث عن الانسان حديثا يملأ الصدر بدفء الأمل ، وسعة الرجاء ، ويفتح عليه صفحات مشرقة للوجود تغرى الانسان بالوقوف عند كل موجود .

فالانسان فى الاسلام .. ذلك الذى يمتلىء كيانه بمشاعر العزة والسيادة والقوة والاستفادة بكل ما فى الأرض ، من قوى يسخرها لسلطانه ، ويقوم بها على خلافة الله فى الأرض ، مستصحبا فى ذلك عقله ، المحرر من كل ولاء لغير الحق ، المطلق من كل قيد .. غير قيد البر والاحسان .



---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨
(٢) سورة سبأ الآية رقم ٢٨ .
(٣) سورة الفرقان الآية رقم ١ .

الإنسان والإسلام

الانسان الذى يؤمن برسالة الاسلام ، لا يستطيع الا ان يصدق النبيين والمرسلين الذين صدقهم الاسلام ودعا الى الايمان بهم .

وهذا يشكل حلقة فى وحدة الايمان التى أكد عليها الاسلام ، ويتبناها فى جانبه العقائدى ، وتحدث عنها فى القرآن الكريم .

ووحدة الايمان هذه حقيقة تفرضها وحدة المصدر بصورة قاطعة ، لا تقبل الرد او التشكيك ولا يغير من واقعها أبدا وجود فواصل البعد الزمنى بين الأنبياء الذين أرسلهم الله الى عباده .

وربما يكون لعامل الزمن أثره الواضح فى اختلاف التشريعات التى يفرض فيها ان تنسجم مع المستوى الفكرى والمعاشى لمن تكون لهم ، ولكن الايمان واحد فى أساسه .

وهناك آيات فى القرآن الكريم تشير فى وضوح الى حقيقة وحدة الايمان وتغيير التشريعات .

قال الله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه(1) » .

---

(1) سورة الشورى الآية رقم ١٣ .

وقال تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا(١)** » .

فالآية الأولى تعنى وحده الايمان فى أسسه .

والآية الثانية تعنى متغيرات الشريعة وما يعود الى الأعمال.

والايمان هنا يعنى العقيدة ممثلة بالأصول التى يقوم عليها الدين .

ولن تجد هذه الأصول فى الاسلام الا مماثلة لتلك التى قامت عليها جميع الأديان السماوية التى كان لها أنبياء ورسل بعثهم الله لهداية الناس على اختلاف العصور وتباعد الأزمنة ، وهذه الأصول لا تتعدى .

اولا : الايمان بالله تعالى رب العالمين الذى لا اله الا هو ، وحده المعبود لا شريك له ، خالق كل ما فى الوجود .

ثانيا : الايمان بالغيب : اليوم الآخر ، البعث ، الجزاء ، الجنة ، النار والثواب والعقاب والملائكة .

ثالثا : الايمان بالنبيين والمرسلين وتصديقهم والأخذ بتعاليمهم وارشاداتهم والعمل بما أنزل عليهم من وحى الله .

هذه هى أصول الايمان التى حملها كل نبى بعثه الله تعالى ، وقد جمعت هذه الأصول آيات من القرآن الكريم فى صدر سورة البقرة :

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٤٨ .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ * لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآيات ١ ــ ٤ (٢) سورة البقرة الآية رقم ١٧٧

فالاسلام فى جانبه الايمانى العقائدى ، أكد هـذه الأسس تأكيدا واضحا . ولكنه فى الجانب الذى يستتبع الشريعة أى جانب الالتزام والعمل ، كان الاسلام الفصل الأخير فى تكامل التشريعات.

وهذا الطابع الشمولى الملتقى فى أسس العقيدة والتكامل التشريعى ، هو الذى جعل من الاسلام ، الصيغة الوحيدة الباقية المستمرة . ولعل هذا هو السر الذى جعل من الاسـلام ، كلمة تختص بالدين الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام .

وكلمة الاسلام فى اطار اللفظ تعنى فى الأصـل التسـليم والخضوع .. وفى مفهوم الدين ومن خلال اطلاقاتها فيه يراد منها التسليم والخضوع لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .

وبهذا المعنى البسيط والتسليم والخضوع لأمر الله ومشيئته اطلقت على كل من آمن بالله وسلم لأمر الله عن أى طريق وباتباع اى رسول ونبى .

فاتباع كل الانبياء الذين بعثهم الله تعالى ، وكل من يدين لله بأى دين من الاديان السماوية هم مسلمون بهذا المعنى ويصـح اطلاق الاسـلام عليهم .

وفى آيات القرآن الكريم كثير من الآيات التى تشير الى ذلك اذ أن القرآن الكريم اعتبر كل من آمن بالله تعالى والتزم بطاعة انبيائه مسلما . سواء كان تابعا لابراهيم أو موسى أو عيسى أو محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

قال تعالى :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (1)

وقال تعالى :

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (2)

وقال تعالى :

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (3)

---

(1) سورة البقرة الآية رقم ١٣٢ .
(2) سورة يوسف الآية رقم ١٠١ .
(3) سورة آل عمران الآية رقم ٥٢ .

فلم يكن الاسلام مقتصرا على فئة دون فئة من المؤمنين ، فكل مسلم بحكم ايمانه وتسليمه لأمر الله وخضوعه لمشيئته ، هو من المؤمنين . فالاسلام فى هذا الاطار ، يتسع ليشمل كل من وضع قدمه ، وسار فى مسيرة الايمان .

ولكن الاسلام اصبح من بعد ، وعندما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وبلغ رسالة ربه ، اصبح مقتصرا على تلك الرسالة وحدها ومختصا بها .

والآية الكريمة التى اعتبرت الدين عند الله الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » لا تعنى الا مجموعة المبادىء الاسلامية وتعاليم الاسلام .

وما ذلك الا لأن معنى التسليم لأمر الله والخضوع لمشيئته الذى يعنيه الاسلام فى مضمونه البسيط اصبح له فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أسس ثابتة لا يمكن تحققه الا من خلالها ، وعبر واقعها .

وقد أصبحت التعاليم التى تضمنتها رسالة الاسلام ، هى التى يمكن لها ان تعبر عنه فى صيغته الأخيرة .

وهذه التعاليم تمثل المضامين العقائدية واصول الايمان التى أكدها الرسل والأنبياء وتضيف اليها نظمها التشريعية المتكاملة الشاملة لمختلف جوانب الحياة .

اذن رسالة الاسلام هى الاسلام بعد أن كون فى واقعه « وحدة الايمان » وجاء بالشريعة الدائمةالصالحة لكل زمان ومكان.

قال الله تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)

ومن هنا كان الاسلام يشتمل :

اولا : على امتداد زمانى فى الفكر الدينى ، يعرض لقضية البشرية من نشأتها الى غايتها فى ايجاز واجمال .

ثانيا : شمول موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعا سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية وتربوية وفكرية واحداث تاريخية .

ثالثا : شمول الأديان كلها ، والمسلم بنص القرآن الكريم مطالب بتصديق الانبياء جميعا .

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٣ .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ (١)

رابعا : شمول الدعوة الاسلامية . وانها لا تقتصر على جنس دون جنس أو قوم دون قوم . وانما تنظر الى الانسان فى جوهره .

وترد التفاضل الى التقوى .

قال تعالى فى سورة الحجرات :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٣٦ .
(٢) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .

والى هذا الأصل العريض من المساواة الانسانية يشير الرسول عليه الصلاة والسلام فى خطبة الوداع فيقول : **(ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد : كلكم لادم وادم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى)** .



الإخاء والتقدم الحضارى

الأخاء الاسلامى .. هو الأصل الأصيل فى بناء دولة الاسلام، وقيام الأمة الاسلامية .. ولقد كان العرب — قبل الاسلام — والناس معهم على شفا حفرة من النار . متشاكسون ، متنافرون، متحاربون . سنين طويلة ، من أجل ناقة فنزلت الآيات .. قيل لهم : تحابوا . قيل لهم : تآخوا . فتآخوا .. ثم قيل لهم : انفروا. فهبوا خفافا وثقالا .. تنزلت الآيات .. فقالوا : سمعنا وأطعنا. ومؤمنو مكة ، على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما فى التاريخ الا المهاجرين ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما فى التاريخ الا الانصار فاذا بالفرقاء والمتشاكسون دولة(١).

والاسلام لم يكتف باطلاق اسم المهاجرين ، على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا الى المدينة .. ولم يكتف أيضا باطلاق اسم الانصار على قبيلتى الأوس والخزرج أبناء قيلة .. مع ان اطلاق اسم الانصار والمهاجرين كافيا لاعطاء العمق الاسلامى الأصيل .

لم يكتف الاسلام بهذا . ولذا نجد رسول الله — صلى الله

(١) مجلة البحوث الاسلامية . العدد الاول . الرياض . السعودية .

عليه وسلم ــ يبدأ فى البناء الأخوى الكامل ، ليقيم دولة الاسلام ، على أساس سليم .

قال ابن اسحاق : (وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين اصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا : تآخوا فى الله أخوين أخوين[1]) .

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [2]

لقد بلغ المسلمون الأوائل فى الايثار ــ بكل ما تشمله كلمة ايثار من معنى ومفهوم ومدلول ــ بلغوا درجـة عليا ، ومكانة عظمى . بما وقر فى قلوبهم من ايمـان وبمـا أشرق فى نفوسـهم من يقين .

قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم، تجعل النفس الانسانية ، تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة .

---

(1) سيرة النبى لابن هشام م. الجزء الثانى ص ٣٥١ .
(2) سورة الحشر . الآية رقم ٩ .

ولقد صنع ذلك الايمان وهذا التصديق ، جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة . فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم ، وديارهم ، على أنفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم فى الغنائم من اجلهم ، ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حبا لهم ، ورغبة فى اخوتهم(١) .

والايثار فى الاسلام هو : تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين . وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة يقال : اثرته بكذا أى خصصته به وفضلته(٢) .

والذين سكنوا المدينة ، واشربت قلوبهم حب الايمان ، من قبل هجرة اولئك المهاجرين .. لهم صفات كريمة وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ونبل الطباع(٣) . ولذا كانوا يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم . وفى حال احتياجهم الى ذلك .. وهؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وهؤلاء اثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما انفقوه(٤) .

وجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر : أبا دجانة سمك بن خرشة ، وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة . وقال

---

(١) الدين والحياة ع ١١٩ ص ٦ وزارة الأوقاف .
(٢) تفسير القرآن العظيم للامام القرطبى ج ١٨ ص ٢٤ .
(٣) تفسير القرآن للامام المراغى ج ٢٨ ص ٤٣ .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٨ .

لهم : (ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة) .

فقالت الانصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار : (ان اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم).

فقالوا : اموالنا بيننا قطائع .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك ؟

فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ .

قال : هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر. فقالوا : نعم يا رسول الله(١) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قالت الانصار للرسول صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل . فقال الرسول : لا فقالوا : « المهاجرون » تكفوننا المؤنة ونشرككم فى الثمرة ؟ قالوا : سمعنا واطعنا(٢) .

نعم .. ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا ، هيئت له ، تمكن فيها ونما وترعرع ، وأشرقت اثاره على من حولها ، وسمى

---

(١) الكشاف . للزمخشرى ج ٤ ص ٨٤ . وتفسير القرآن العظيم لابن كثير . ج ٤ ص ٣٣٨ والحديث رواه عبد الرحمن بن زيد بن اسلم .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٨ ص ٩٥ والحديث رواه البخارى.

أصحاب هذه القلوب المؤمنـــه ، فى بذل ما يرضى من حولهم من المسلمين .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خيرة من تمسك بفضيلة الايثار حرصا على اخوة الاسلام ، والتوادد فى ظلال الايمان(١) .

قال تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ (٣)

والمؤاخاة فى الناس ، تكون على وجهين :

احدهما : اخوة مكتسبة بالاتفاق الجارى مجرى الاضطرار .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٧ والحديث رواه البخارى.
(٢) سورة الفتح الآية رقم ٢٩ .
(٣) سورة الانفال الآية رقم ٧٥ .

والثانية : اخوة مكتسبة بالقصد والاختيار .

فأما المكتسبة بالاتفاق .. فهي اوكد حالا ، لأنها تنعقد عن أسباب تعود اليها .. والمكتسبة بالقصد ، تعقد لها اسباب ، تنقاد اليها ، وما كان جاريا بالطبع فهو الزم مما هو حادث بالقصد .

اما المكتسبة بالاتفاق ، فلها اسباب : ما هو الا سبب ، يبتدى منه ويتشعب ، وأول أسباب الأخاء : التجانس فى حال يجتمعان فيها ، ويأتلفان بها . وان قوى التجانس ، قوى الائتلاف به ، وان ضعف كان ضعيفا ، ما لم تحدث علة اخرى يقوى بها الائتلاف . وانما كان كذلك ، لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتشاكل بالتجانس ، فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من كل وجه ، ومع انتفاء التشاكل يعدم الائتلاف .. فثبت ان التجانس وان تنوع أصل الاخاء . وقاعدة الائتلاف .

وقد روى يحيى بن سعيد عن عمر ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه قال : **(الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف)** . **فالارواح بالتجانس متعارفة ، وبفقده متناكرة . قال الشاعر :**

فــلا تحتقر نفسى وانت خليلهــا

فكل امرىء يصبو الى من يشاكل

وقال آخر :

فقلت اخى قــالوا اخ من قرابة

فقلت لهم ان الشــكول اقــارب

نســيبى فى رأيى وعــزمى وهمتى

وان فرقتنا فى الاصــول المناسب

ثم يحدث بالتجانس . المواصـلة بين المتجـانسين . وهى المرتبة الثانية من مراتب الاخاء . وسبب المواصلة بينهمـا وجود الاتفاق معهما ، فصارت المواصلة نتيجـة التجانس .. والسبب فيه وجود الاتفاق . لأن عدم الاتفاق منفر .

وقد قال الشـاعر :

النــــاس ان وافقتهــم عــذبوا

اولا فــــان جنــاهم مــــر

كــم من رياض لا انيــس بهــــا

تركت لان طريقهــــا وعـــر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهى المؤانسة ، وسببها : الانبســــاط .

ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهى المصافاة ٪ وسببها: خلوص النية .. ورتبة خامسة .. وهى المودة وســـببها الثقة . وهذه الرتبة هى أدنى الكمال ، فى أحــوال الاخــاء ، وما قبلها

أسباب تعود عليها ، فان اقترن بها المعاضدة .. فهى الصداقة ، ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة ، وهى المحبة ، وسببها : الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس ، حدثت رتبة سابعة ، وهى الاعظام . وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة ، وهى العشق ، وسببه : الطمع وقد قال المأمون رحمه الله تعالى . أول العشق مزاح وولع ثم يزداد اذا زاد الطمع كل من يهوى وان عالت به . رتبة الملك لمن يهوى تبع وهذه الرتبة آخر الرتب المعدودة . وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ، ولا حالة محدودة ، لانها قد تؤدى الى ممازجة النفوس ، وان تميزت ذواتها . وتفضى الى مخالطة الارواح ، وان تفارقت اجسادها .. وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ، ولا الوقوف عند نهايتها .. وقد قال الكندى : الصديق الانسان هو انت الا انه غيرك .

ومثل هذا المروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، حين اقطع طلحة بن عبيد الله ارضا ، وكتب له بها كتابا ، واشهد فيه ناسا ، منهم عمربن‌الخطاب رضى الله عنه فاتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه ، فامتنع عليه عمر .. فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكر رضى الله عنه ، وقال : والله ما ادرى انت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل عمر لكنه أنا(١) .

---

(١) ادب الدنيا والدين للماوردى ص ١٤٢ .

وأما المؤاخاة المكتسبة بالقصـــد .. فلابد لها من وجهين : رغبة ، وفاقة .. فأما الرغبة : فهى أن يظهر من الانسان فضائل تبعث على أخائه ، ويتوسم بجميل يدعو الى اصطفائه .. وأما الفاقة : فهى أن يفتقر الانسان لوحشة انفراده ، ومهانة وحدته ، الى اصطفاء من يأنس بمؤاخاته ، ويثق بنصرته وموالاته(١) .

وأعز ما تملكه الجماعات .. الاخاء فهو الرصـــيد الثابت . والقاعدة الصـــلبة والمرتكز الصاعد .

والأخوة فى الاســـلام ، قاعدة الحياة ولا حياة بدون أخاء ، واخوان .. والأخـــوة فى الاســـلام فوق كل الحواجز الجنسية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية والسياسية .. وهى فى الاسلام تقوم على اصول اصلية ، وقواعد متينة .

من ذلك وحـــدة الأصـــل الانسانى فالناس جميعا على اختلاف اجناسـهم ، وتمايز الوانهم ، وتباعد اقطارهم .. يرجعون الى اب واحد ، واصل واحد ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها فى اساليب شتى ، وآيات متعددة لكى تكون دائمـــا موضع الاعتبار ، والرعاية .

---

(١) المصدر نفسه « بتصرف » ص ١٤٣ .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ (١)

فهذه الآية العظيمة ـ كما ترى ـ تقرر أصـلا من أصول الاسلام ، وهو المساواة بين الناس .. ولقد قررت هذه الآية ، مبدأ ضخما من المبادىء الانسانية السامية .. فهى من معجزات هذا القرآن العظيم الذى أنزله الله ضياء للناس ونورا ، يهتدون به وبرهانا ساطعا ينير السبل أمامهم .

وكان العالم قبل انبثاق نور الاسلام ، يموج فى الظلم ، ويضطرب فى الفساد وتسوده الهمجية ، والعصبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد ، وتفاخر الناس بالأنساب ، وعاشوا تحت ظل نظام الطبقات .

فى هذه الظلمة الداكنة ، ينبثق فجر الاسلام ، فتبدد أنواره ، تلك الغيوم السوداء .. وتنزل هذه الآية الكريمة ، لتقرر

---

(١) سورة الحجرات ، الآية رقم ١٣ .

مبدأ انسانيا عظيما .. وهو اعــلان المســاواة بين البشر ، كل البشر(١) .

ويهتم القرآن الكريم بالانسانية والبشرية ، اهتماما يفوق حد الوصف . وهــذه كلمة (الناس) يتــكرر استعمالها فى أساليب القرآن الكريم نحوا من مائة واربعين مرة كثير منها جاء للبشر عموما، وكثير منها ورد دالا على الجنس البشرى .

وهذه ايضا كلمة « الانســـان » تســتعمل فى آيات القرآن الكريم ، فى اكثر من ثمانين موضعا .. فى اساليب متنوعة ، عائدة بالمفكر والعاقل ، الى اصل الانسان ، ولا شــك ان ـ استعمال « الناس » و « الانسان » بهذا الاهتمام يخلق فى المسلم انسانية تعجز عن الوصــول اليهــا اساليب رجال التربية الحديثة ، امثال : جان جاك روسو وهربارت سبنسر ، وجون ديوى ، ووليم جيمز .. وغيرهم من فلاسفة التربية ، حتى كلمــة البشر الدالة على الجنس الانسانى الواحــد ، تســتعمل فى القرآن الكريم ، فى اكثر من خمس وثلاثين آية . وهــكذا يهتم القرآن الكريم بكل ما من شأنه أن يوقظ فى الناس أحاسيس الانسانية ، ويربى الخلق الانسانى .. والاسلام جاء ليقيم بين البشر جميعا بالله خالق الأرض والسموات .

« وفى انشاء جميع البشر من نفس واحــدة ، آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته .. وفى التذكير بذلك ايماء

---

(١) نظرات فى سورة الحجرات للشيخ الصواف ص ١٤٧ ط السعودية.

الى ما يجب من شـــكر نعمته وارشـــاد الى ما يجبه من التعاون والتعارف بين البشر ، وان يكون هـــذا التفرق الى شعوب وقبائل مدعاة الى التآليف . لا الى التعادى والتقـــاتل وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس(١) » .

وعن ابى مالك الأشعرى قال : قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : (ان الله لا ينظر الى احسابكم ولا الى أنسابكم ، ولا الى اجسامكم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانمـــا أنتم بنو آدم وأحبكم اليه اتقاكم(٢)) .

والمسلمون هم احق الناس بالحفاظ على الاخـــوة ، وأجدر الناس باتباع هـــدى القرآن وتعاليم الرســـول صـــلى الله عليه وسلم . . ومن الأصول الأصيلة . . للاخوة فى الاسلام وحدة العقيدة.

ووحدة العقيدة من اهم الركائز لوحدة المســـلمين ، وتكامل اخوتهم . وعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس ، او لون من الألوان ، او مصر من الأمصار او جيل من الأجيال ، او زمن من الأزمان . هذه العقيدة قائمة وتقـــوم على الايمان بالله ، وبرسول الله وبكل ما فى القرآن . . وان الاسلام هو الاســـلام . . والقرآن هو القرآن . . ومن آيات العقيدة فى القرآن . . قـــول الله تعالى :

---

(١) تفسير القرآن للشيخ المراغى الجزء السابع ص ٢٠١ .
(٢) التاج الجامع للاصول . الجزء الأول ص ٦١ .

﴿ * لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (١)

قال الامام ابن كثير : اشتملت هـذه الآية على جمل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة والآية كما نرى مشتملة على خمس عشرة خصلة .. وترجع الى ثلاثة أقسام : فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكمالات الانسانية التى هى من قبيل صحة الاعتقاد وآخرها قوله : « والنبيين » وافتتحها بالايمان بالله واليوم الآخر .. لأنهما اشارة الى المبدأ والمعاد .

---

(١) سورة البقرة - الآية رقم ١٧٧ .

والستة التى بعدها .. تتعلق بالكمالات النفسية التى هى من قبيل حسن معاشرة العباد . واولها (وآتى المـــال) وآخرها (وفى الرقاب) .

والأربعة الأخيرة ، تتعلق بالكمالات الانسانية التى هى من قبيل تهذيب النفس واولها (واقام الصلاة) وآخرها (وحين البأس) ولعمرى من عمل بهذه الآية فقـــد استكمل الايمـــان ، ونال أقصى مراتب الايقان(١) .

وعقيدة الاســـلام .. واحـــدة لـــدى كل المسلمين فى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها . تجتمع عليها قلوبهم ، وتحفظها عقولهم ، وتستيقنها نفوسهم ، ووحـــدة العقيدة .. جددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الـــدم القائمة بينهم .

واذا كانت ابـــوة آدم عليه الســـلام ، ابوة مادية ، تجمع بين الأمة الاســـلامية ، وتوحد بينهـــا فى الأصـــل .. فان العقيدة الاسلامية هى ابوة روحية ، ترجع اليها فروع المؤمنين والحق أن المؤمن حينما يستشعر جـــلال هـــذا الأصل الروحى ، الـــذى يجمعه واخوانه المؤمنين فى مشـــارق الأرض ومغاربها الى جانب الأصل المـــادى الـــذى يرجعه معهم الى أبـــوة واحدة . فانه حينئذ يشعر أنه انما يحيا باخوانه ويحيا لهم ويحس كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة يحيا بحياتها ويموت بموتها(٢) .

---

(١) تفسير القرآن للألوسى . الجزء الأول ص ٢٥٦ .
(٢) المسلمون أمة واحدة ص ١٢ وزارة الأوقاف .

وان رابطة العقيدة فى الاســلام ـ وهى رابطة فى المبادىء المثل العليا ، والقيم الرفيعة ـ من أقوى عوامل التقدم والازدهار. وتلك التعاليم هى أعلى واقــوى من رابطة الــدم ، والنسب ، والمساكنة ، فى الوطن والمشاركة فى القومية .. وهــذا الأساس هو المنطلق الوحيد ، للخروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبلية والقومية .. الى صــعيد اللقاء الانسانى ، على أساس المبادىء. مبادىء الحق ، والعــدل والخير .. وفى هــذا الاطار التربوى النفسى ذاته ، عالج الاســلام النفس الانسانية اعدادا لها لتحقيق التعارف والتعاون .. فعالج آفاتها وامراضها الحائلة دون التعاون كالحقد والحسد والغل ، التى تثيرها دوافع النفعة للذات الفردية او القبلية أو القومية(١) ؟

والأصل الثالث ، فى أصول الاخوة الاسلامية .. وحدة مصدر التشريع .. ومصــدر التشريع واحــد لــدى المسلمين .. وهو القرآن الكريم . كتاب الله ، الذى أنزله ليكون دستور الخالق فى اصلاح الخلق .. ينظم الحياة ، ويعالج النفوس ، ويقوم اعوجاج المجتمع ، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

---

(١) استراتيجية العالم الاسلامى ص ٩٥ مكة المكرمة .

ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ (٢)

(١) سورة المائدة ، الآيتان ٤٨ ، ٤٩

(٢) سورة البقرة ، الآيات ٢ — ٥ .

وقال تعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ (١)

وان الله عز وجل ذكر للنور ثلاث فوائد :

الأول : انه يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . اى من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور ، يهديه الطريق التى يسلم بها فى الدنيا والآخرة ، من كل ما يرديه ويشقيه فيقوم فى الدنيا بحقوق الله تعالى وحقـوق نفسـه الروحية والجسدية وحقوق الناس ، فيـكون متمتعا بالطيبـات مجتنبا للخبائث ، نقيا مخلصا ، صالحا مصلحا .. ويكون فى الآخرة ، سعيداً ، منعما ، جامعا ، بين النعيم الحسى الجسدى ، والنعيم الروحى العقلى .

الثانية : الاخراج من ظلمـات الجهل والوثنية ، الى نـور التوحيد الخالص .. حيث يصبح الانسان حرا كريما بين الخلق ، عبدا خاضعا بين يـدى الخالق وحده .

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ١٦ .

الثالثة : الهداية الى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الموصل الى المقصد والغاية من الدين ، فى اقرب وقت ، لأنه طريق لا عوج فيه ، ولا انحراف ،فيبطىء سالكه أو يضل فى سيره .. وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح الذى أنزله الله تعالى لأجله . بأن تكون عقائده ، وآدابه ، وأحكامه ، مؤثرة فى تزكية النفس ، واصلاح القلوب ، واحسان الأعمال .. وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله فى خلق الانسان(١).

والقرآن الكريم هو وحده القادر على تحديد علاقة الانسان بالوجود كله والقرآن الكريم .. هو وحده القادر على أن يرسم للمجتمع الاسلامى .. الخطوط السليمة ويضع له الحوافظ التى تحفظ الانسانية ، من التردى والهلاك .

والقرآن الكريم هو وحده الذى توجد فيه الحلول المنطقية المقبولة لكل ما وراء الحواس .. وهو وحده الذى تجد فيه الحلول العملية لكل الجوانب وبهذا كان القرآن الكريم .. غنيا بكل جوانب الحياة ، الروحية ، والعقلية ، والجسمية .

والقرآن الكريم هو وحده القادر على اذكاء روح الاخوة الاسلامية وتدعيم المحبة بين المسلمين .

ومادام القرآن الكريم يعمل على وحدة الصف الاسلامى .. فلا غرور أن يأمر الله المسلمين ان دب بينهم نزاع بأن يرجعوا الى كتاب الله تعالى :

---

(١) تفسير المنار . الجزء السادس ص ٣٠٥ .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (١)

فالرجوع عند التنازع فى اى امر الى كتاب الله ، وسنة رسول الله شرط فى الايمان . وذلك خير محض لا شر فيه ابدا .

ومن العجيب ان تشاهد تنازعا واختلافا بين الاخوة المسلمين يؤدي الى تحرك اجهزة الاعلام كلها ، لتلقى الشتائم والسباب ، والتهم .. وان هذا الأمر محزن ومؤلم ولا يصح أن يكون بين المسلمين .. ولا شك ان المذاهب الهدامة والأحزاب البغيضة لها اثر فعال فى توسيع هوة الخلاف والاختلاف .

والمسلمون اخوة بنص القرآن الكريم . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة النساء . آية رقم ٥٩ .
(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .

اخوة فى الدين والحرمة لا فى النسب(١) .

ولهذا قيل : اخوة الدين أثبت من اخوة النسب ، فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة النسب . واخوة الدين أحق واجدر ان يهتم لها ، ويصلح ما بين المؤمنين . لانها اخوة بنص كتاب الله تعالى . والله سبحانه وتعالى هو الذى عقد هـذه الاخوة وما عقده الله تبارك وتعالى لا تحله يد بشر ، مهما قويت ، وسطت ، وظلمت .

ومن عجيب أمر هـذه الآية الكريمة . انها جاءت وكانها قررت أمرا واقعا مفروغا منه ، لا يرد ولا يصـد . فقالت : « انما المؤمنون اخوة » هذا حكم الله ، وهكذا اخبر من هـذا العقد الذى ربطه فى السماء بين المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت لغاتهم ، وتباعدت اقطارهم وتناءت ديارهم فهم اخوة ، تجمعهم عقيدة خالدة، ورسالة واحـدة . وهكذا جاءت الجملة خبرية ، تقرر واقعـا عظيما وتخبـر عنه . فقالت : « انمـا المؤمنون اخوة » ولم تأت الجملة انشـائية اذ لو جاءت الآية انشائية ، لكانت الاخوة غير موجودة . ولكنه عز وجل ربط قلوب المؤمنين برباط واحـد ، وعقد هذا الرباط ثم أخبر عن هـذه الحقيقة الثابتة الواقعة ، وقضى فيها بحكمه فقال : « انما المؤمنون اخوة » ثم ثنى بتقرير هـذه الحقيقة رسـول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (المسلم أخو المسلم أحب او كره) .. كما قال عليه الصـلاة والسلام :

(١) الجامع لاحكام القرآن . للقرطبى جـ ١٦ ص ١٥٢٢ .

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان ، فيستر عنه الريح الا باذنه ، ولا يؤذيه بقتار قدره) .

وفى سنن أبى داود ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (المؤمن مرآة المؤمن . المؤمن أخو المؤمن ، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه) وهكذا فهم الصحابة الكرام هذه الاخوة ، وعاشوا فيها ولها ، وأصبحوا بفضل الله تعالى اخوانا .. دعوتهم واحدة ، وأمرهم واحد .. تقاسموا الحب فيما بينهم وآثروا اخوانهم على أنفسهم . فقاسموهم الأموال ، ووصلوا الى درجة من الايثار ، أن يقول الصاحب لصاحبه . هذا مالى جعلته بينى وبينك . وهاتان زوجتاى اختر أيتهما تشاء لتتزوجها أنت(1) .

والاخوة فى الاسلام . اسلوب تربوى وسلوك عملى . يسمو بالمسلمين ، ويصل بهم الى ذروة مراقى الفلاح والنصر .

وآثار الاخوة تبدو واضحة فى التعاون الذى قام بين المسلمين، فجعل منهم أمة واحدة .. تخوض المعارك بايمانها بالله وبنصر الله .وسوف يبقى المسلمون فى أشد الحاجة الى الاخوة الاسلامية، لانها السياج الذى يبقى المجتمع من التعثر والتبعثر .

---

(1) نظرات فى سورة الحجرات ص ١٠٧ للشيخ الصواف ط السعودية.

والأمة الاسلامية تحتاج الى الروابط المتكاملة فى الاخاء الاسلامى . الذى لا يعرف ولا يعترف بالحزبية ، ولا بالعصبية ، ولا بالقومية ، ولا بالاقليمية ، ولا بالمذاهب الفكرية .

وقد اتم الله للمسلمين .. وحدة الأصل .. ووحدة العقيدة .. ووحدة المصدر ووحدة الشعور .. ووحدة الصف .. ووحدة العادات .. ووحدة العبادات..وكانت آثار ذلك واضحة، سواء فى معارك بدر ، والقادسية ، واليرموك وحطين وعين جالوت ، والعاشر من رمضان . وغير ذلك من معارك المسلمين التى خاضوها فى سبيل الله .

وسواء فى الحب فى الله ، والتعاون المثمر ، والتكامل ، والمساواة ، والعدل والشورى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ومن منطلق الاخوة الاسلامية . كانت أمتنا ومازالت تملك رصيداً ضخما ، يمكن استثماره ، لتحقيق الاخاء الاسلامى العظيم والذى يجعلنا نحس بإخواننا المسلمين فى كل مكان .

والذى يجعلنا أيضا نعتز بالانتماء الاسلامى ، ونرفض كل ما عدا الاسلام من الماركسية والتقدمية . وغيرهما من الأسماء التى أبدعها القاموس الشيوعى الالحادى .

وسوف نحقق ما نأمله فى ظلال الاسلام .. وقوتنا رهينة بتمسكنا بالاسلام .. وقد اثبت التاريخ والتجربة ان الاسلام خير ما عرفته الانسانية .

المسلمون والتضامن

ان الأمة الاسـلامية تقوم الروابط فيها ، على وحدة الدين ، ووحدة العقيدة ووحدة المبادىء الخلقيـة ، ووحدة العبـادات والتلاقى فى التقاليد والعادات .

وكل يوم من الأيام يمر يشعر المسلم فيه بالوحدة الاسلامية وذلك من خلال أداء العبادات والفرائض التى فرضها الله سبحانه وتعـالى .

فالصلوات الخمس ، تعطى الادب الوحدوى ، الذى يصون ويحفظ ، اذ يؤديها المسلمون جميعا الى قبلة واحدة .

فاذا تصور الانسان عند اداء الصلاة ، انه واحد من الوف الالوف يتوجهون الى مثل اتجاهه ، ويولون وجوههم شـطر بيت الله الحرام . علم أين تكون مثابته وأين تكون جماعته .

لاشك انه عندما يتوفر لديه هذا الاحساس ، يدرك انه لبنة فى مجتمع كبير يضم اقطارا من الشرق والغرب ، ويدرك أيضـا انه عضو من اعضاء هذا المجتمع الواسع العريض ، وانه مسئول فيه مسئولية كاملة .

وهذا الاتجاه الذى يدعو الى الاتحاد نجده فى شهادة « أن لا اله الا الله وأن محمـدا رسول الله » .

ونجده ايضا فى فريضة الحج اوضح اشراقا واعظم نورا . واكثر بناء وتدعيما . والاسلام الحنيف بدعوته الى الوحدة والتضامن، تضى على الفرقة والشقاق ، والقرآن الكريم يؤكد ان المسلمين جميعا ، تتكافأ حقوقهم والتزاماتهم وتكاليفهم ودماؤهم وجعل منهم وحدة كاملة متناسقة متجانسة .

فيوجه الخطاب الى جماعة المسلمين ، فى كافة التكاليف الايجابية والسلبية فان خاطب القرآن الكريم « الناس » فى أمر من الامور العامة ، قصد الانسانية كلها وخص جماعة المؤمنين .

وان خاطب ((**الذين آمنوا**)) فانه يعنى المسلمين فى ثوب وحدتهم الجامعة لا ينظر الى جنس ، ولا الى لون .

وان تحدث عن نسبة المسلمين الى غيرهم من الأمم ، قال ((**كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله**))(١) فبنى القرآن الكريم هذه النسبة ، على الايمان بالله ومقتضياته ، لا على عنصرية من جنس أو دم .

وعلى هذا الأساس ، جاء خطاب القرآن الكريم ، للأمة فى جميع التكاليف سواء منها ما هو فردى يطلب اداؤه من كل فرد من الأمة، اذا توفرت فيه شروطه ((**واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**))(٢) ، ((**أوفوا بالعقود**))(٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١١٠ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ٨٣ .
(٣) سورة المائدة الآية رقم ١ .

وما كان جماعيا ، يطلب من الأمة باعتبارها « شخصية معنوية مسئولة » أن تحققه وتعمل على تركيزه ، كتنفيذ الأحكام الشرعية وتوخى العدل فى الحكم ، والاشراف على الحاكمين وتوجيههم ، والقيام بالمحافظة على الدين والأخلاق وكيان الأمة وحماية العقيدة ، قال الله سبحانه وتعالى :

« ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »(١) .

وقال تعالى :

« واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم »(٢) .

وقال تعالى :

« اعدلوا هو أقرب للتقوى »(٣) .

وقال تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى »(٤) .

وقال تعالى :

« وجاهدوا فى الله حق جهاده »(٥) .

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٥٨ .
(٢) سورة النحل الآية رقم ٩١ .
(٣) سورة المائدة الآية رقم ٨ .
(٤) سورة المائدة الآية رقم ٢ .
(٥) سورة الحج الآية رقم ٧٨ .

وغير ذلك من الاوامر ، التى كلفت بها مجموعة المسلمين « الأمة الاسلامية » ولاشك ان القرآن الكريم يعنى من كلمة «أمة» هذا المعنى الجامع لكل من دخل فى الاسلام أو وصف به ولا يعنى مطلق جماعة من المسلمين من غير قصد العموم والشمول .

قال تعالى :

« ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون »(١) .

والمفهوم من هذا من غير التواء ، ان المسلمين امة واحدة كما ان ربهم واحد .

ووصف امة « بواحدة » يؤكد لنا ان وحدة هذه الأمة قوية متماسكة لها شخصيتها العامة .

ومقصد القرآن الكريم ، من الأمة هو الأمة الاسلامية على عمومها .

الأمة المكلفة بتنفيذ أحكام الله ، واقامة الحدود ، وتحقيق العدالة بين جميع الأفراد .

الأمة المسئولة عن صالحها العام بوصفها امة ، ومسئولة عن كيانها وكرامتها وارضها .

قال الله تعالى :

« قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون »(٢) .

---

(١) سورة الانبياء الآية رقم ٩٢ .
(٢) سورة الانبياء . الآية رقم ١٠٨ .

آية كريمة ، فى كتاب كريم ، أرسلها مرســل كريم ، على مرسل كريم ، وما هى الا رمز واشعار ، واعلام واعلان ، بالفكرة الأولية التى هى حجر الأساس لبناء هذا المبدأ ، وقاعدة البنــاء للاشادة بتركيز ذلك الركن القويم « الوحدة والاتحاد » بكل ما تحمل الكلمتان من معنى .

ومنذ بذرت بذرة الاسلام ، والرســول يردد فى الانحــاء والأرجاء الدعاء والدعوة « للوحــدة » .

فالاسلام دين الوحدة فى العقيدة والاتجاه .

دين الوحدة فى الفــكر والعمــل .

دين الوحدة فى العقيدة لانه ما جاء الا بدعوة الاعتقاد بأن خالق الكون ومدبره ، والمهيمن على الكائنات ، والمســيطر على الموجودات « اله واحد » هو الفاعل الكامل والمتصرف القدير .

« قل هو الله احد الله الصــمد »(1) .

وكل من له لمحة من ثقافة ، يعلم ما لهذه العقيدة من بليغ الأثر فى النفس ومجتمع الحياة ، وحياة المجتمع .

فما عقيدة التوحيد ، الا رأس كل ملكة فاضلة ، وروح كل فضيلة نفسية سامية وأساس كل عمل فاضل .

---

(1) سورة الاخلاص . الآيتان ١ ، ٢ .

تطبع معتنقيها على الوحدة والاتحاد ، فى الفكرة والعقيدة .
والاسلام الحنيف ما أراد فى رسالته ، الا الوحدة فى كل شىء .

الوحـــدة فى التضامن والتعاون .

والوحدة فى الواجبات والحقوق .

فالمسلمون جميعا فى نظـــر الاسلام سواء (**لا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى**) .

ويقول سبحانه وتعالى :
« **ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** »(1) .

وقال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** »(2) .

وقال تعالى : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** »(3) .
ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام :

(**ولا الفينكم بعدى مرتدين على اعقابكم يضرب بعضـــكم رقاب بعض**) وما للأمة الاسلامية والخلاف والاختلاف ، ودينهـــا واحد ، ونبيها واحد ، وكتابها واحد وقبلتها واحدة .

وهى امة واحـــدة فى العـــادات والعبـــادات والمعاملات ، وما استقامت أمة على سنن الرشاد ، ولا تم لها نظام ، ولا بلغت ما تريد من المجد والعز ، الا بالوحدة .

---

(1) سورة الحجرات . الآية رقم ١٣ .
(2) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .
(3) سورة الانفال . الآية رقم ٤٦ .

وما عزت أمة وهابها الأعداء ، ولا قام فيها عدل ، وجرت أمورها على الطريق المستقيم ، الا بالوحدة .

وأعظم الأمم قوة وأكثرها منعة هى الأمة التى استحالت كلها الى أفراد متجانسين فى اللغة والدين والعقيدة والغاية .

وخليق بنا ونحن نبنى أمة الوحدة ، أن نعمل جميعا على بنائها وتدعيمها ، بالصدق والعدل ، والاخساء والاخلاص ، والحب ، ونكران الذات والتضحية والفداء ، والبطولة والاستبسال .

قال الشاعر العربى :

كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى العصى اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت أفرادا

ان الوحدة الاسلامية استطاعت أن تهز عروش الأكاسرة والقياصرة ، وتدك معاقل الكفر ، وبها انتصر المسلمون فى معاركهم التى خاضوا غمارها ، ودخلوا معمعتها وبها كان النصر حليفهم فى القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت وبها سننتصر على اعدائنا ونبلغ ذروة ما قدر لنا من فلاح .



المسلمون وخصائصهم

ان العالم الاسلامى يربض على الثروات المعدنية الهائلة ويتربع على الكنوز الثمينة ، ويملك من الحقول البترولية ، أجداها نفعا ، وأكثرها ثراء وعطاء ، واقواها تدفقا ودفعا . ويتبوأ استراتيجية هامة ، ويشغل من خريطة الدنيا ، حيزا جغرافيا عظيما .

فالاطار الخارجى الأقصى للعالم الاسلامى يصل شمالا حتى اعالى الفولجا غير بعيد عن دائرة العرض ٦٠ درجة شمالا ، ويترامى جنوبا حتى نهاية أفريقيا عند الرأس على خط عرض ٣٥ درجة جنوبا .

أما شرقا بغربا فمنحن مع الاسلام ، من خط طول ١٢٠ درجة، شرقا حيث الفلبين الى حوالى ٢٠ درجة غربا ، عند الرأس الأخضر ، فهذه شقة تبلغ ٩٥ درجة بالطول ، ونحو ١٤٠ درجة بالعرض أى حوالى ربع وثلث محيط الأرض على الترتيب ، أو ما يعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالى .

ومحيط العالم المسلم يتحدد أساسا بنصف الكرة الشمالى اولا ، وبنصف الكرة القديم ثانيا ، فالاسلام جنوبه خط الاستواء

اطراف او أصابع ثانوية وهو فى العالم الجــديد شظايا سديمية متطايرة .

ويمكن أن نعبر عن هذا الامتداد النــادر بأكثر من طريقة فنقول : ان الاسلام يمتد فى قوس محدد من بكين الى كازان الى بلغراد فى الشمال ، أو فى قاطع من فرغانه الى غانا — كما كان يقول مؤرخو الاسلام — أو فى قاطع آخر من جبل طارق الأطلسى الى سنغافورة جبل طارق الهادى ، أو من مالاجا بالاندلس الى ملقا بالملايو ، الى قبائل المورو بالفلبين كذلك يمكن أن تحــدد قاعدة العالم الاسلامى فى الجنوب بمحور يمتد من قبائل التاجال بالفلبين ، أو من غينيا الى غينيا الجديدة اما بالطول فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزى والليمبوبو . .

وتلك أبعاد لا تقل بحال من نصف مساحة العالم القديم .

فالاسلام دين عالمى أو كوكبى — بلا مراء — رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جــزئى أو اقليمى احيــانا ، أو من أنه دين (افريقاسى) احيانا اخرى . اذ يوشك الا تكون هناك دولة فى عالم اليوم . لا يتمثل الاسلام فيها ولو ببضع عشرات من الآلاف كما فى استراليا وغرب أوروبا مثلا .

وبالعالم الاسلامى قابليات بشرية فائقة ، والمسلمون يمثلون تقريبا ٢٠٪ من مجموع سكان هذا الكوكب . الذى يبلغ اليوم قرابة ٤٤٠٠ مليون نسمة .

وبعبارة أقرب وأوجز ، يمكن أن نقول : ان واحدا من كل ستة اشخاص يدين بالاسلام ، ومناطق العالم الاسلامى تعد — عند الباحثين والدارسين — من أقاليم النمو السكانى السريع .

فالعالم الاسلامى يشمل منطقـــة جغرافية تمتـد من المحيط الباسفيكى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، مجتازة جاليات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ، ومنطقة العالم الاسلامى تتميز بأنها :

* تقع من العالم موقع الحزام من جسم الانسان ، بعيدة عن القطبين ، وســـالمة من الأعاصـــير والطـــوفانات والثلوج والبراكين ، ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية، وتناسل الحيوانات البرية .

* وانها تمتلك من شواطىء البحـــار الكبيرة والصغيرة ، ما يمكنها من الاشراف على عـــدد كبير من أعظم موانىء العالم ، كما بها من الانهار والمنابع ما يجعلها من أخصب المناطق ، وأكثرها ازدهارا ونماء .

* وان فيها من موارد الحضـــارة كالماء والنفط والمعادن ، والحاصلات الحيوانية والزراعية ، ما يمكنها من اغناء الحضارة الانسانية ، وزيادة الأمن والرخاء .

* وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى أسمى ما تدرك من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

* وأن التجانس المذهبى بين سكان العالم الاسلامى يجعل المنطقة فى منأى عن الانشقاق الملحوظ فى المذاهب الأخرى ، ويقربه بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وتفتحا وتقدما .

وتلك أمور تجعل العالم المسلم قوة ايجابية مرهوبة الجانب، مخطوبة الود ، يتهيب العدو باسها ، ويخشى سلطانها ، وتجعله أيضا مهيأ للاسهام فى بناء الحضارة الانسانية ، واعادة صنع الحياة ، وانقاذ البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

واذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع ، ومالهما من خصائص ومميزات ، وما بهما من كنوز وميزات ، ومن الحديث عن خصائص العالم الاسلامى التى بر بها غيره الى الحديث عن الاسلام نفسه : فاننا نجد أنه دين العقيدة الحية الصحيحة التى جاءت وقت بلوغ العقل البشرى طور رشده وكماله وتفتقه .

العقيدة التى تقر التوحيد الخالص ، والتنزيه البالغ أرقى صوره وأشكاله . عقيدة ترفع من قيمة الانسان لأنها تصله بالله الواحد الذى لا شريك له فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله **« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »**(1) .

---

(1) سورة الاخلاص .

ولا تبيح تلك العقيدة الاسلامية للانسان أن يتعلق بالمخلوقات او يدعو ويعبد غير الخالق الذى أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس او يعترف بوجوده فى هذا الكون الفسيح « **اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله** » والاسلام من جهة أخرى دين اجتماعى راعى حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية فى حدود الحق والفضيلة والشرف ، وباعتبار هاتين الحقيقتين — التوحيد الخالص والاجتماعية — أمكن للاسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الاخلاقية العليا وان يرضى مطالب الروح والجسد ، حتى ترافقا فى اعتدال ، وكونا حقيقة الانسان المهذب والمؤمن الكامل.

وبالجمع بين السمو الروحى والتهذيب الاجتماعى أمكن للاسلام أن ينتشر فى أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادىء .

والاسلام وليد العقيدة الرائقة التى تطهر النفس ، وتزكى القلب ، وتربى الخلق ، وتغذى العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها، وتعطى كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتى وسيره الطبيعى.

والعقيدة الاسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها : انها تبعث فى روح المؤمن بها الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ، وشعور الاطمئنان فى غير تواكل .

والعقيدة الاسلامية قوة لا تدانيها قوة فى شد الأعصاب وشحن الدماء بالتضحية والفداء ونكران الذات . واثر الايمان بالعقيدة السليمة يبرز بوضوح فى الدعوات التى غيرت وجهالتاريخ.

لذا يعمد أصحاب الدعوات الى اختيار العناصر المشبعة بروح العقيدة ، ويصرفون نظرهم عن الكثرة فهم لا يريدون (الكم) بل يريدون (الكيف) .

ذلك أن العقيدة هى الروح التى تحرك الجسد وتبعث فيه الحياة . والرعيل الأول من المسلمين ، كانوا أساتذة الدنيا ، بقوة عقيدتهم وايمانهم بربهم . وقد لاقوا آلاما شديدة لو صبت على غيرهم لتغير موقفهم ، ولكن الايمان بالعقيدة ، حين يخالط قلب المسلم ، يحيله الى انسان فوق العادة .

فبلال الحبشى ، وعمار بن ياسر ، ومصعب بن عمير ، وصهيب الرومى ضربوا الرقم القياسي فى صلابة العقيدة وصدق النية ، وقوة الايمان . وهم الذين لم يدرسوا كتب الفلسفة ولم يقرأوا علوم اليونان والرومان . ولكنهم درسوا القرآن الكريم وتتلمذوا فى مدرسة محمد بن عبد الله رسول الله الى الناس كافة .

وعمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، والمقداد بن الأسود ، وطارق بن زياد وموسى بن نصير ، قادوا الدنيا وفتحوا البلاد ، وهم الذين لم يدرسوا فى الكليات الحربية ولم يقرأوا علوم اليونان والرومان الحربية ، ولكنهم درسوا القرآن العظيم ، وتتلمذوا فى مدرسة محمد رسول الله .

فالايمان بالعقيدة هو الجذوة المتقدة والقوة المبدعة ، التى تكون النفوس وتشحنها بأنبل القيم وأسماها ، وتبنيها على الحق والاباء والعزة والكرامة .

والاسلام : دين ومجتمع حضارة :

دين : لانه عقيدة توحيد وتنزيه لله — سبحانه وتعالى — تعتقدها القلوب وتدين بها ، وتنطق بها الالسنة فى كل صلاة وذكر، وتتزكى بها النفوس فتتجلى عنها كل شدة وبؤس .

ومجتمع : لانه ليس طائفيا ولا عنصريا ، ولا متعصبا ولا جاهلا ، ولا جامدا ولا خامدا ، ولا يتوخى استعباد جنس لجنس ولا قوم لقوم ، ولا طائفة لطائفة **« انما المؤمنون اخوة »(١)** . **« يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن »(٢)** .

والفرد فى المجتمع الاسلامى ، جزء من كل يكمله ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمى به ، وليس فى الاسلام انفصال بين مسئولية الفرد نحو المجتمع ومسئولية المجتمع نحو الفرد ؛ لان هاتين المسئوليتين هما أولى وسائل الاسلام فى الاصلاح العام والاسلام من ناحية أخرى اعترف بالقيمة الذاتية للأفراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله ومسئولين أمامه عن أعمالهم **« كل نفس بما كسبت رهينة »(٣)** . **« لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت »(٤)** . **«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم»(٥)** . **«ولاتزر وازرة وزراخرى»(٦)**

---

(١) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .
(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١١ .
(٣) سورة المدثر . الآية رقم ٣٨ .
(٤) سورة البقرة . الآية رقم ٢٨٦ .
(٥) سورة التوبة . الآية رقم ١٠٥ .
(٦) سورة الأنعام . الآية رقم ١٦٤ .

والاسلام الحنيف حينما جعل الفرد مسئولا امام الله عن اعماله جعل المسئولية تقع عليه وحده . الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الفرد الذاتية ويصل به الى اعمال الخير والدفع البناء ، وفى الوقت نفسه الفرد لبنة من لبنات المجتمع المسلم وعضو من اعضائه يعمل لصالح الجماعة ، والجماعة تسعى لخير الفرد .

والاسلام لا يعترف بالقهرية التى يدمج بها الفرد فى المجتمع قسرا ورغما عنه كما فى الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغنى عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحزب دون نقاش .

فالاسلام دين اجتماعى يرقى بالمجتمع الى اسمى ما قدر من سلام ورخاء وتعاون وتكافل وتساند وتوادد « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض** »(1) .

قال المستشرق الفرنسى (ماسينيون) : (ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد فى فكرة المساواة ، وذلك بفرض الزكاة التى يدفعها كل فرد لبيت المال . وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التى تفرض على الحاجات الأولية الضرورية ويقف فى نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجارى.

وللاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام ، من ماض حافل بالنجاح فى جمع

---

(1) سورة التوبة . الآية رقم ٧١ .

كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات .

وقال المؤرخ الانجليزى (توماس كارليل) : (وفى الاسلام صفة اراها اشرف الصفات واعظمها ، وهى المساواة بين الناس ، وهذا يدل على صدق النظر وصواب الراى والاسلام لم يقنع بالصدقة سنة محبوبة ، بل جعلها فرضا على كل مسلم وجعلها قاعدة من قواعد الاسلام .

وقال العلامة (ليودوروس) : (ولقد وجدت فى الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا ،، الأولى قول القرآن ((**انما المؤمنون اخوة**(1))) والثانية فرض الزكاة على كل ذى مال .

تلك اراء كوكبة من الباحثين وكبار المستشرقين ، فيها انصاف واعتراف بقيم الاسلام ، وذلك حينما يكتبون لمرضاة العلم فى ذاته . وحين لا تقتادهم السطحية .

وحضارة : لانه متصل بشئون الحياة والحكم والفكر ، والاسلام قادر بطبيعته الذاتية على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التبلور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ، ولا يتعارض مع طبائع الأمم فى حركتها الداخلية الممتدة عبر العصور .

---

(1) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ، ويتدخل فى جميع شئونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى انه دين يهتم بالجانب الروحى من الانسان ويريد منـــه ان يتحمل الخلافة فى الارض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها ، واقام موازين الحـــق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة اوجز : انه ما من شيء يهم الانسانية، ويشغل بالها ويأخذ قسطا من عنايتها ، الا وله فى الاسلام هدى وبيان واهتمام .

وما من شيء يلامس حياة الناس او يتعمقهـــا ، الا وله فى الاسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الاســـلام بوحدة العقيدة ، ووحدة اللغة العربية، واشتراك المجتمع فى مظاهر العبادات والعادات والتقاليد، زيادة على توحيد الأهداف والغايات من الحياة .

ونخلص من كل ما سبق : الى ان الاسلام دين عالمى . ولهذه العالمية كان الاسلام ومازال ملائما لجميع الأجناس البشرية ، وقد اثبت منذ ظهوره حتى اليـــوم أنه الدين الذى يتلائم مع كل عقل وتفكير ، ويتجاوب مع تطور الزمن .

وان آداب وتعاليم الاسلام كفيلة بان تجعل العالم الاسلامى فى وضع يسمح له أن ينمى فلسفته الخاصة به ، المتميزة عما عداها،

والتى تنبع من الفكر الاسلامى النير ، وتستمد عناصر وجودها من كتاب الله : القرآن الكريم . وسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام . وذلك دون أن يتبع المجتمع الاســـلامى اى شـــكل من الاشكال التى يعافها الاسلام وتمجها الفطرة الانسانية الصافية .

واذا كان المجتمع الاسلامى ، له من المميزات مالا يتوفر لغيره، وله من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح له أن تكون له فلسفته الخاصة بوجوده . فهل ممكن لحضــــارته ان تعود الى اشراقها من جديد ، فتنقـــذ الانســـانية من هوة الفوضـــوية ، وتقشـــع عنها السحب الداكنة ، والاعاصير المقلقة ، وتزيل الاصفاد ، والقيود المحيطة بكل تقـــدم والمعرقلة للنهوض ، وتعيد للعالم الانســانى . السلام الحقيقى ، والحق والعدل ، والنور والأمن والاطمئنان .

ان تعاليم الاســــلام الغراء صالحة لكل زمان ومكان ، وماق الاصلاح الاســـلامى من كليات وجزئيات ، كفيل بقيام مجتمع انسانى تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ، ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم والأخلاق الاسلامية . والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابضة بالســـمو ، المليئة بالجذوات المتقدة التى لا يخبو ضوؤها . قال الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زعامة العالم السياسية والعلمية كما كانوا من قبل — اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاسلام والعلوم التى حث الاسلام على الأخذ بها » .

وقال العلامة وامبرى : « ان روح نظام المسلمين هو الدين، والذى احياهم هو الدين ، والذى يكفل سلامتهم فى المستقبل هو الدين ليس الا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى « ان الشرق الاســلامى هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حياته العلمية ، كما انه فى فجر طور جديد ، فى حياته السياسية وهو دور يمكن انسميه: دور الابداع والابتكار، ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والأدبية . ولنا أن نتكهن ان ابناء الثقافة الاسلامية على اختلاف بيئتهم سيقومون بدورهم فى خدمة المدنية والانسانية ، وبما يجعلهم خلفاء جديرين بالميراث الذى تركه لهم اجدادهم .

والدكتور سميث استاذ ورئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية « اوهايو » يرى : « انه لو امكن اثارة التماسك الاسلامى فى سبيل أغراض ايجابية وتكتيل الأمم الاسلامية الكثيرة المختلفة فى وحدة حية لأمكن ان تصير هــذه الوحــدة قوة ايجابية فى العالم » .

وكلام اولئك الأفذاذ من ائمة البحث وكوكبة الاستشراق قد يكون انصافا ولمرضاة العلم فى ذاته بعيدا عن السطحية والأغراض التعصــبية .

وقد يكون بمثابة التحذير لأقــوام اوروبا الحاقدة على الاسلام والمسلمين . ليعرف الأوربيون ان المسلمين اذا اجتمعت كلمتهم فى ظل العمل بالاســلام . كان ذلك خطرا على الاستعمار والاستعباد والظلم .

وعلى أى حال وسواء كان هذا أو ذاك . فان العالم العربى والاسلامى لا ينهض الا برسالته التى وكلها اليه رسول الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، والايمان بها والاستماتة فى سبيلها ، وهى رسالة مشرقة قوية واضحة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ولا افضل ، ولا ايمن للبشرية منها .

وهى نفس الرسالة التى حملها المسلمون فى فتوحاتهم الأولى ، والتى بلغوا بها ذروة ما قدر لهم من سؤدد ومجد وسلطان.

كانوا اقوياء فى عقيدتهم بالله واقوياء فى نفوسهم ، لا يرهبون الردى ولا يخافون من الموت سواء وقعوا عليه ام وقع هو عليهم غير هيابين ولا وجلين :

اذا صنعوا فصنعهم المعالى	وان قالوا فقولهم الصواب
مرادهم الاله فلا رياء	ونهجهم اليقين فلا ارتياب
لأمتهم وللاوطان عاشوا	فليس لهم الى الدنيا طلاب
كمثل الكاس تبصرها دهاقا	وليس لأجلها صنع الشراب

ويعرب عن كل ذلك الفيلسوف الاسلامى محمد اقبال الشاعر الباكستانى فيقول :

كم زلزل الصخر الاشم فما وهى	من باسنا عزم ولا ايمان
لو ان آساد العرين تفزعت	لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكان نيران المدافع فى صدو	ر المؤمنين الروح والريحان
توحيدك الاعلى جعلنا نقشه	نورا تضيء بصحبه الازمان
فغدت صدور المؤمنين مصاحفا	فى الكون مسطورا بها القرآن

لم نخش طاغوتا يحاربنا ولــو نصب المنايا حولنـا اســوارا
ندعو جهارا لا اله سوى الذى صنع الوجود وقــدر الاقدارا
ورؤوسنا يا رب فــوق اكفنا نرجــو ثوابك مغنما وجــوارا
كنا جبالا فى الجبــال وربمــا سرنا على موج البحــار بحارا
كنا نقــدم للسيوف صــدورنا لم نخش يومــا غاشما جبارا

ولقد مرت على المسلمين والاسلام زهاء اربعة عشر قرنا من الزمان ، حورب فيها الاسلام وحارب وانتصر ، وشاهد فرقا واحزابا تالفت ضده واندحرت. وجمعيات سرية هدامة عملت جهدها لتشويه الحقائق ، وقد باءت بالفشل ، ودولا عديدة انقضت على بلاده تريد نهب الخيرات والقضاء على القيم العليا ولكنها منيت بالهزيمة.

ولا زال الغرب مدفوعا بدوافع نفسية حاقدة متعصبة حينا ، واخرى استغلالية انانية ، ولقد حاول الغرب تحقيق اغراضــه الخبيثة بالتوجيه الثقافى والغزو الفكرى مرة والضغط الســياسى والاقتصادى مرة أخرى ، وبالقوة احيانا ، وما يحدث بالبلاد الاسلامية لدليل واضح على الحقد الذى يسيطر على الغرب تجاه الاسلام والمسلمين « قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صــدورهم أكبــر » .

فليستيقظ العرب ، ويعيدوا صنع حياتهم على ضوء المفاهيم الصحيحة ، وليجمعوا الصفوف ويوحدوا الأهداف :

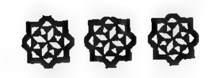
وفى التوحيــد للهمم اتحــــاد وان تبنــــوا العلا متفرقينــا
تســـاندت الكواكب فاستقرت ولولا الجاذبيــــة ما بقينــا

ولتكن حياتنا كلها حركة وجهاد وعمل وبناء :

جهـاد المؤمنين لهم حيـــــاة	الا إن الحياة هى الجهـــــاد
عقائدهم ســواعد ناطقـــات	وبالأعمـــال يثبت الاعتقــاد

وليفتح المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أعينهم ، وليبنوا خططهم ، على انه لا امل الا فى انفسهم ولا حياة الا ببذل الجهد ، فى سبيل تدعيم البناء الروحى والمادى . وبهذا :

سنمضى فى طريق النــور قدما	وان طفقت تعارضنا الشعوب
سنمضى حاملين لــواء عـــز	به يتفتــح الامــل الرحيــب



خلق الصدق وأثره فى حياة الأمة

ان الاســـلام الحنيف منهج متكامل ، يقود الانسانية ويهديها الى الصواب ، ويمنحها غاية السعادة فى الأنفس والمجتمعات ، وفى الدين وفى الدنيا . وذلك ما جاء به الاســـلام من قدسية الحق ، وجلال الوسيلة ، وكفاية الفطرة ، والوفاء بالغاية ، فى كل مجال من مجالات المجتمع .. وفى كل جانب من جوانب الحياة .

ان الاسلام دين الفضائل العليا ، والقيم الرشـــيدة ، التى يرمى بها الى تكوين النفس وبناء الفرد ، وتشكيل المجتمع ، على نحو يتناسب ومنهج الحياة المتكامل الذى جاءنا به الحق عز وجل .

ان الاسلام دين المثل الكامل الذى نزله الله للبشر .. وهو المنهج الحق الـــذى أراد لهم أن ينهجوه ، ويحيوا فى اطاره .. وهو ان التزموا به ، لبى فيهم هواتف الروح ، واشواق البدن ، وضرورات العيش ، ومقتضيات المجتمع ، وأحاطهم بكل ما فيه أمنهم وسلامهم ورشادهم فى حنايا النفس وشئون ورحاب المجتمع .

ومن خير صـــور العطـــاء التى اهداها الاســـلام ومنحها للبشر ، ماجاءهم به من كريم الأخـــلاق ، وعظيم الفضائل ، وباهر السجايا والخلال ، مما يمكن أن يعتبر منهجا أصـــيلا وافيا بالغرض

فى بابه ، لمختلف انماط السلوك البشرى وشموله لحياة الناس واستغراقه لكل اغوار النفس الانسانية واعماقها ، وشتى الخواطر الواردة عليها ، والمنبعثة فيها .

والصدق فى طليعة الأخلاق التى جاء بها الاسلام ، وحبا بها المسلمين . والصدق نقيض الكذب . وصدقه الحديث : أنبأه بالصدق . ويقال صدقت القول اى قلت لهم صدقا . وصدقنى فلان : اى قال لى الصدق .. ورجل صدوق : ابلغ من الصادق . والمصدق . : الذى يصدقك فى حديثك !

والصدق : مطابقة الخبر للمخبر عنه وللضمير ، والكذب بخلافه .. والصدق والكذب : اصلهما فى القول ماضيا كان أو مستقبلا ، وعدا كان أو غيره . ولا يكونان بالقصد الأول الا فى القول . ولا يكونان بالعرض فى غيره من أنواع الكلام كالاستفهام والأمر والدعاء وذلك نحو قول القائل : أزيد فى الدار . فان فى ضمنه أخبارا بكونه جاهلا بحال زيد .

والصدق : مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا . ومتى فقد شرط من ذلك لا يكون صدقا تاما . بل اما الا يوصف بالصدق ، وأما أن يوصف تارةبالصدق ، وتارة بالكذب . على نظرين مختلفين . كقول الكافر من غير اعتقاد (محمد رسول الله) فان هذا يصح أن يقال : صدق لكون المخبر عنه كذلك . ويصح ان يقال : كذب، لمخالفة قوله ضميره .وبالوجه الثانى كذب الله تعالى المنافقين(١)

(١) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٤٤٨ ولسان العرب جـ ١ ص ١٩٣ .

حيث قالوا : انك لرســـول الله ، فقــال : « والله يشـــهد ان المنافقين لكاذبون » .

والصدق فضيلة اساسية ضرورية للاجتمــاع الانسانى ، ولولاها لمــا قامت شريعة ، ولا استنارت سبل الهداية ، ولا دون علم ، ولا ارتقى فن .

وفى الجملة منزلة الصدق من اعظم منازل القوم ، الذى تنشأ منه جميع منازل السالكين . وهو الطريق الاقــوم الذى من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين . وبه تميز أهل النفاق من اهل الايمان . وهو سيف الله فى ارضه الــذى ما وضع على شىء الا قطعه ولا واجه باطــلا الا ازاله وصرعه . فهو روح الأعمال ، ومحل الأحــوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، والباب الذى دخل منه الواصلون الى حضرة ذى الجلال .

وقد أمر الله سبحانه أهل الايمان أن يكونوا مع الصادقين ، وخصص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين . فقال « **يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين(١)** » .

وقال :

« **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين(٢)** » .

---

(١) سورة التوبة . الآية رقم ١١٩ .
(٢) سورة النساء . الآية ٦٩ .

ولا يزال الله يمد الصادقين بنعمه والطافه ، ويزيدهم احسانا منه وتوفيقا . ولهم مزية المعية مع الله . فان الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه اذ درجتهم منه تالية درجة النبيين ، وأثنى عليهم باحسن اعمالهم من الايمان ، والاسلام ، والصدقة ، والصبر، وبانهم اهل الصـــدق . فقال :

« ولكن البر من آمن بالله واليــوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين » الى قوله « اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون(١) ».

ولقد كانت فضيلة الصدق منذ القدم خلق الأنبياء والحكماء والعلماء والأفاضل . وكان اول جهر النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة معتمدا على الصدق الذى عرف به بين قومه .

فالصدق ابرز الفضائل الكبرى التى ينبثق عنها كثير من خلال الخير وفضائل الأخــلاق .. وهو من اهم الفضائل فى تكوين النفس السوية وبنائها ثم هو من الــزم الخــلال فى اعــداد الشخصية القيادية وتأهيلها ، لتكون جديرة بما سيوضع بين يديها من امانات القيادة والامامة .

ثم هو سر اصيل من اسرار الجاذبية التى تشد الأواصر بين القائد وتابعيه . من اجل هذا كله كان الصدق فى طليعة الصفات التى تقضى الضرورة أن يتصف بها الأنبياء والمرسلون ومن دار فى فلكهم ، وواكب مسيرتهم فى اصـــلاح الحياة والاحياء . اذ الصدق

---

(١) سورة البقرة . الآية ١٧٧ .

ابرز الفضائل واساسها بل والزمها للشخصية القيادية ، والصقها بها ، واشدها صقلا لها ، وأكثرها جاذبية وتألقا .

لقد اتصف بهذه الفضيلة الكبرى جميع الأنبياء والمرسلين فغدت فى حياتهم صفتهم البارزة ، وسمتهم الأصيلة ، وشامتهم التى لا تفارقهم فى أى شأن من الشئون الخاصة والعامة ، ثم غدت فى حياة اممهم سرا من أسرار القوة ، وعاملا فى طليعة عوامل الدعوة التى كان لها اكبر الأثر فى نجاحها ، وجمع البشر على طريقها ، بحيث اصبح الصدق اكبر الأدلة على الثقة فيهم ، والتسليم لهم ، والايمان بهم .

من اجل ذلك كله جاء الاسلام يهتف بالصدق ويأمر به ، ويدعو اليه ، كفضيلة كبرى من أوليات الفضائل التى لا تصلح حياة البشر ولا تستقر الا بها ، ولا ينعمون الا فى رحاب الأخذ بها ، والتطبيق لها .

والحق ان أى مجتمع من المجتمعات لا تصلح له حياة ، ولا يستقر له وضع الا اذا اخذ حياته بالصدق ، والتزم به ، فغدا سديدا فى عمله ، مصيبا فى قوله ، سويا فى تفكيره ، مستقيما فى سلوكه ، صادقا مع ربه ، ومع نفسه ، ومع غيره من الأمم والشعوب ، وهذا من غير شك اذا انطبعت اخلاق امة وحرصت عليه ، واعتصمت به ، فانه يقودها الى مقام البر كلمة الحق الجامعة لأطراف الخير وفنونه . فى النفس ، والفرد ، والمجتمع ، فى الدين

والدنيا . ثم انه يتدرج بها درجة أعلى بحيث تصبح خير أمم الله التي يبوئها الله شرف الدنيا وكرامة الأخوة فتكون من المفلحين .

فالصدق : دليل الخير ، ومطية البر ، وامارة الحب .. وتلك أمور ما شاعت في أمة الا تماسكت لبناتها ، وتضافرت جهودها ، وتعاطفت قلوبها ، فهيأها هـذا لحب الله ورسوله ، ثم لرضوان الله ونعيمه .

لكل ذلك دعا الاسـلام الى الصـدق فجاءت دعوته دعوة كريمة الى بناء النفس المؤمنة وتكوين المجتمع الفاضل الـذى يمضى سعيدا فى حياته ، راشدا الى غايته .

ولم يأت منهج ولا مذهب يدعو الى الصدق كما جاء الاسلام يدعو اليه بحيث يأخـذ به المؤمنون أنفسهم ، يزاملونه ويتفيأون ظلاله ، ويتعايشـون فيمـا بينهم على هـداه ، بالكلمة السديدة ، والقولة الصادقة ، والفعل القويم ، والسمت المألوف .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة الاحزاب الآية رقم ٧٠ — ٧١

فالدعوة الى الصـــدق والتمسك به ــ كما يرى العلماء ــ دعوة تجـــد بين يديها المثل الواقـــع للخير العظيم الذى ينـــاله الصادقون بصدقهم . وان احتمل الصادقون فى سبيل كلمة الحق شيئا من الأذى والضرر فى أول الأمر ، فان العاقبة دائما لهم ، وهى عاقبة طيبة مســـعدة ، تهيء لصاحبها الفوز والفـــلاح فى الدنيا والآخـــرة !!

والمسلمون اليوم فى أشد الحاجة الى الصـــدق فى الأقوال والأفعال ، والصدق فى النيات ، والصدق مع الاسلام الذى نؤمن به ، والصدق مع النفس .

ويعلم الله اننا لو التزمنا بالصدق مع الله لما آل حال المسلمين الى ما وصل اليه من التقاتل والتضارب والتطاحن . ولما استطاعت القوى الشريرة أن تتكالب مسعورة لتنهش المسلمين وتنال منهم.

ولا شك أنه بقدر ما تكون الأمة الاسلامية قريبة من الحق، مستقيمة على النهج الصحيح ، بقدر ما تكون سوية جادة ، مطمئنة عزيزة السلطان ، منيعة الجانب .



أثر الصدق فى قوة الايمان

الصدق فى طليعة أمهات الفضـــائل العليا التى اتصـــف بها الأنبياء ، وطبعوا عليها ، وتخلقوا بها ، والتصقت بهم . فلم تفارقهم حتى أصـــبحت آية الآيات ، على وجوب الثقـــة فيهم ، وضرورة الايمان بهم .

وكان طبيعيا من الاسلام ــ وقد جاء يحتفى بالفضائل التى تبنى على جوهرها النفوس وتنهض على دعائمها الامم ــ أن يدعو الى الصدق كفضيلة كبرى من الفضائل الجامعة لأطراف الخير ومعالم البر .

ان الاسلام ليس دين الترف العقلى ، أو الترفيه الفكرى .. ولكنه دين المنهج العملى المتكامل الذى يرمى الى بنـــــاء النفس المؤمنة ، ويهدف الى تكوين المجتمع الفاضل .

وليس هناك ما هو أدخل فى هذا المجال من عامل الأخلاق ، وما يشيع فى الأمة من الانماط والصور والمظاهر .

وللاخلاق فى الاسلام صلة كبرى بالايمان أهم عوامل البناء الداخلى للنفوس ، والأفراد ، والجماعات ، والأمم .

وخلة الصدق على رأس الخلال التى تتصدر منهج الأخلاق فى الاسلام ، والتى تتصل اتصالا وثيقا بالايمان بالله ، وبكل قيم الحق والخير ، والجمال .

والصدق احد مظاهر الايمان ، واقوى الأدلة على وجوده فى قلب صاحبه ، وانصع البراهين على حيويته ، وابراز عطائه ،وبلوغ غايته ، والوفاء بمتطلباته ، وفرائضه .

قال تعالى فى سورة الحجرات : **« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون(١) »** .

فما من مسلم يرتفع الى مستوى الصدق ومعطياته ـ سيما فى قضايا الأمة ، وكل ما يتعلق بالحق وشرفه ، وواجباته ومصيره ـ الا كان ذلك خيرا واوجب ثناء ، واعظم مثوبة ، واجزل اجرا .

فالمؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، فنزل هذا الايمان فى قلوبهم منزلة اليقين لا يزحزحه عنه اى عارض من عوارض الحياة، ولا يغير وجهه فى قلوبهم ما يلقاهم على طريق الحياة ، من بأساء وضراء ، ثقة منهم بالله ، وركونا اليه ، ورضاء بقضائه ، وصبرا لحكمه .

« انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا(٢) ».

---

(١) سورة الحجرات . الآية رقم ١٥ .
(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١٥ .

هذا هو الايمان فى صميمه . أما الايمان الذى يهتز كيانه فى قلب الانسان لأى عارض ، ويتضاءل شخصه عند اى بلاء ، فهو ايمان غير خالص ، بل هو مشوب بآفات كثيرة من الشك ، وسوء الفهم فاذا وضع على محك التجربة والامتحان ظهر ما فيه من ضعف . فلم يحتمل التجربة ، ولم يصمد أمام تيار الامتحان .

حقا ان بين الصدق والايمان صلة قوية ، ونسبا وثيقا ، يقترنان ولا يفترقان ، بحيث لا ينفك احدهما عن صاحبه . فلا يكون المرء مؤمنا حقا الا اذا كان صادقا . ولا يكون ثقة الا اذا ارتكزت فضيلة الصدق لديه على قاعدة الايمان ، وانبثقت عنه .. كما أن بين كل منهما تفاعلا مستمرا ، وعطاء دائما ، ورحما موصولة.. فالايمان يزيد فى الصدق ، ويزيد به ، والصدق يزيد به ، ولا غنى لأحدهما من قرينه .

على أن الصدق يعتبر من اهم المظاهر والادلة على وجود الايمان واصالته ومن ثم تلمس له فى حياة المؤمنين ثقلا ، ووزنا ، ونتيجة ، وفاعلية ، تتوقف عليها مصائرهم وتتحدد على ضوئها أقدارهم من الايمان، ومراكزهم فى الأمة، ثم مكانتهم من الله عز وجل.

قال تعالى فى سورة الأحزاب « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم(1)** » .

---

(1) سورة الأحزاب . الآية رقم ٢٣ .

يقول العلماء المفسرون : فمن المؤمنين الذين سلموا من النفاق رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . اذ ليس كل المؤمنين على درجة واحدة فى ايمانهم . بل هم درجات فى الايمان ، كما أنهم درجات عند الله .

فالصدق فى الاسلام خير مقود يؤم صاحبه الى أمثل خطوط الاستقامة وأقومها .

الأمر الذى تستجيب لهتافه وتنضبط على هداه ، كل طاقاته وقدراته ، وجوارحه منطبعة بطابعه ، ماضية على سنته ، فى الشكل والجوهر .. ولا يزال صنيع الصدق حتى يتحول الانسان المسلم الى مؤمن ايجابى ، باذل معطاء ، يعطى من نفسه وجهده . فاذا هو مركز نفع ، ومصدر اشعاع ، بار بنفسه ، وعشيرته ، ومجتمعه ، وأمتــه .

قال تعالى فى سورة الزمر « **والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون(١)** » .

فالذى جاء بالصدق هو من شأنه الصدق فى قوله ، وعمله ، وحــاله .

---

(١) سورة الزمر . الآية رقم ٣٣ — ٣٥ .

فالصدق فى الاقوال : استواء اللسان على الاقوال كاستواء السنبلة على ساقها .

والصدق فى الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الراس على الجسد .

والصدق فى الأحوال : استواء اعمال القلب ، والجوارح على الاخلاص ، واستفراغ الوسع ، وبذل الطاقة . فبذلك يكون المسلم من الذين جاءوا بالصدق .

وبحسب كمال هذه الأمور فيه ، وقيامها به تكون صديقيته .. ولذلك كان لأبى بكر الصديق ذروة الصديقية ، حتى سمى الصديق على الاطلاق والصديق أبلغ من الصدوق ، والصدوق أبلغ من الصادق . فاعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية ، وهى كمال الانقياد للرسول ، مع كمال الاخلاص لله .

ومن علامات طمأنينة القلب اليه . كما فى الترمذى مرفوعا : (الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة) وفى الصحيحين : (ان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها ، وهى غايته . فلا ينال درجتها كاذب البتة ، لا فى قوله، ولا فى عمله ، ولا فى حاله.

ويقول الشيخ عبد الله الأنصارى : الصدق اسم لحقيقة الشىء حصولا ووجودا . والصدق هو حصول الشىء وتمامه وكمال

قوته ، واجتماع أجزائه ، كما يقال : عزيمة صادقة اذا كانت قوية تامة والصدق ــ كما يذكر العلماء على ثلاث درجات :

الأولــى : صدق القصد . وبه يصح الدخول فى هذا الشأن ، ويتلافى كل تفريط ، ويتدارك كل فائت ، ويعمر كل خرابٍ . وعلامة هذا الصادق الا يحتمل داعية يدعو الى نقض عهد ، ولا يصبر على ضد ، ولا يقعد عن الجد بحال .

والدرجة الثانية : الا يتمنى الحياة الا للحق ، ولا يشهد من نفسه اثر النقضات ، ولا يلتفت الى ترفيه الرخص أى لا يجب أن يعيش الا فى طلب رضا محبوبه ، ويقوم بعبوديته ، ويستكثر من الأسباب التى تقربه منه .

والدرجه الثالثة : الصدق فى معرفة الصدق . يعنى أن الصدق المحقق انما يحصل لمن صدق فى معرفة الصدق أى لا يحصل حال للصادق الا بعد معرفة الصدق .

فليس هناك كالصدق فضيلة جامعة ، يتألق فى ظلالها البر ، بمدلوله الشامل الواسع ، المحيط بالعقيدة ، والعمل ، والدين ، والعلم ، والحياة ، والأخلاق ، والسلوك، والمجتمع، وكل مايتصل بنهضة الأمة ، وتكوينها ، ومقوماتها ، واعدادها لكل واجبــات الحيـــــاة .

وليس هناك كالصدق فضيلة كبرى ، يترك فى وجدان الآخذين بانطباعات محدودة ، يستشعرون بها راحتهم وهدوءهم ، ويضـــع

على اخلاق الموالين له بسمات حيوية ، يجدون بها استواءهم وثباتهم ، ويشع على سلوك العاكفين عليه ، انعكاسات مشرقة .. يلمسون بها فى حياتهم ، من معالم الاستقرار والطمأنينة ، ما يؤهلهم الى كل خير ، والى كل أسباب النجاة .

والصدق احد معالم الرجولة البارزة والنفوس الجادة ، وأهم سمات الشخصية القيادية ، وأعظم مقومات البطولة الحقة التى تصدع بالحق فى وجه الباطل ، وتصرخ بالعدل فى وجه الظلم ؛ وتسعى فى فداء وعطاء وبذل ، وراء الهدى تهتف به ، وتدعو اليه، وتقدمه للمسلمين زادا ، وريا ، وعملا بارا ، واملا دائما وأمنية موصولة .



القسم الثاني

العلم والحضارة الإسلامية

الأمالى والعلوم

ان العلم والتعلم أمر طبيعى فى كل عمران بشرى . ولهذا فقد كان طبيعيا أن تعظم بواعث الحركة العلمية فى المملكة الاسلامية ، وأن تشتد الحاجة الى التدوين منذ بداية الاتساع .

وكل هذه العوامل جعلت من الضرورات الحافزة للمسلمين أن يعنوا فى وقت مبكر بالعلم والتدوين ، عناية تفوق كل اعتبار ، حتى يسدوا حاجات العصر والمجتمع الاسلامى ، فيما تعوزهم اليه الضرورة من شتى نواحى المعرفة ، وألوان الثقافة فى الفنون والآداب والصناعات . ومن القواعد الأساسية التى اقرها الباحثون فى علم الاجتماع أن اتساع العمران وعظم الحضارة يقتضيان زيادة فى العلوم وازدهارا فى المعارف .

يقول ابن خلدون فى احد مباحثه عن تأثير الحضارة : « بسبب ان الحضر لهم آداب فى احوالهم فى المعاش والمسكن والبناء وأمور الدين والدنيا وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم لهم فى ذلك كله آداب يوقف عندها فى جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدى وهى مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا تستعد به

لقبول صناعة أخرى ، ويتهيأ بها العقل لسرعة الادراك — للمعـــارف »(١) .

ويقول ابن خلدون فى موضع آخر : « أن العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة »(٢) .

ويستشهد فى ذلك بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة ، فانه لما عظم عمرانها، واستوت فيها الحضارة ، وكثرت هجرات العلماء والمتعلمين اليها ، زخرت فيها بحار العلم ، وتفنن العلماء فى اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستنباط مسائل الفنون حتى أربوا على الغاية منها(٣) .

ومن اللازم المرعى ان تستبحر العلوم والمعارف فى هــذا العصر ، سدا لحاجات المجتمع ، وتجاوبا مع احواله ، وما يتفاعل فيه من الظاهرات والعادات وما يجرى فيه من الأحداث . وقد قيض الله للعلم فى هذه الحقبة من الخلفاء والأمراء من اذكوا جذوته واتموا غراسه ، فاحتضنوا العلماء وأدنوهم من مجالسهم ، وقربوهم الى نفوسهم وقلوبهم ، وافسحوا لهم صدورهم وقصورهم ، حتى غدوا من أكبر أعوان الدولة ونصرائها وصار العلم يومئذ سياجا يحمى حماها وحصنا منيعا يكفل علاها .

ولم تلبث حركة التأليف أن ازدهرت ازدهارا رائعا فى أواخر القرن الثانى الهجرى يدفعها ويمدها بأسباب الخصب والنماء نشوء

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٠ طبع كتاب التحرير بالقاهرة ١٣٨٦هـ
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧١ طبع كتاب التحرير بالقاهرة .
(٣) أطوار الثقافة والفكر الجزء الأول ص ١٦٣ .

صناعة الورق فى بغداد ابان عهد الرشيد حين برزت فئة جديدة فى المجتمع الاسلامى تعرف بفئة الوراقين التى ينتمى اليها كثير من العلماء خلال العصور من أمثـــال ابن النديم والحاجب وياقوت الحموى . « حيث كثرت التاليف العلمية والدواوين وحرص-الناس على تناقلهما فى الآفاق والأمصار ، فانتسخت وجلدت ، وجادت صناعة الوراقين المعاونين للانتساخ والتصحيح والتجليد وســـائر الأمـــور الكتابيـــة والدواوين واختصـــت بالأمصـــار العظيمـــة العمران(١) » .

ولم تكن حوانيت الوراقة مجرد دور للنسخ ، وانما كانت أماكن تجمع العلماء والأدباء ، وملتقى فئات المثقفين ، بل كانت فوق ذلك مراكز ثقافية متناثرة للنشـاط الفكرى ومخازن حافلة لكل ماكانت تبدعه القرائح المتفتحة والعقول المستنيرة فى شتى فروع المعرفة ، حتى ان المكتبة العربية بلغت مدى هائلا من الضخامة .

وقد عبر « وول ديورانت » عن روح تلك العصر بانه : « لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب فى بلد آخر من بلاد العـــالم ما بلغه فى بلاد الاسلام خلال هذه القرون ، حين وصل الى ذروة حيـــاته الثقافية ، وأن عدد العلماء فى آلاف المساجد المنتشرة فى هذه البلاد من قرطبة الى سمرقند ، لم يكونوا يقلون عن عدد ما فيهـــا من أعمـــدة(٢) » .

وقد ساعد على هذه النهضة غنى الدولة الاسلامية ، وقوة

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥٦ ، ٣٦٠ ط. كتاب التحرير .

(٢) راجع : عاديات حلب . المجلد الثانى ص ٧٣ . طبع حلب .

سلطانها ، واتساع نفوذها ، واستنهاض همم العلمــاء للبحث والاطلاع ، ولم يكد يمضى قرن من الزمان حتى ـ أتت جميع العلوم الاسلامية اكلهــا ، وطابت ثمارهــا ، واستكملت كل مقوماتها وخصائصها كما ترجمت الى اللغة العربية مدونات الأمم القديمة ذات الحضارات العريقة كاليونان والفرس والكلدان والسريان والهنود والمصريين.وبذلك نمت معارف العرب وازدهرت حضارتهم وثقافتهم واجتمعت لهم علوم الأولين والآخرين وعلوم الدنيا والدين، وانصرفت الهمم الى اتقان هذه العلوم وتحصيلها والتبحر فيهــا والزيادة عليها ، حتى اتى العلماء والدارســـون فيهــا بالعجب العجـــــاب(١) .

ولا شك أن تفاعلا حضاريا فى مختلف العلوم والفنون قد أخذ دوره فى محيط الحضـارة الاســـلامية من واقع تأثرات المخالطة ، مما جعل الحركة العلمية تزدهر وتتطور تطـورا يلائم الاتجاهات العقلية والحياة الاجتماعية .

والذى حدث فى بداية النهضة الحضارية والوثبة العلميـــة الشـــاملة واقبال الناشئين على التزود من المعارف . أن ظهرت مدارس عامة مفتوحة ، راحت تتخذ من أبهاء المساجد فى أعقاب الصلوات مراكز معهودة لها ، واخذ الشيوخ المتمكنون من العلم يتصدرون هذه المجالس التى كانت تعقد على هيئة حلقات ، يشكلها الشبان الظامئون الى المعرفة .

---

(١) اطوار الثقافة ص ١٦٤ .

وكان طبيعيا تجاه ذلك كله أن يحرص العلماء على تدوين ما يروقهم أو يهمهم مما كان يتفوه به شيوخ العلم فى تلك الحلقات، وأن يتجاوب الشيوخ فى الوقت نفسه مع هذه الرغبة ، فيملوا على مريديهم الذين كانوا يلزمونهم احيانا لزوم الظل فكانت حصيلة ذلك على تعاقب الأيام كراريس ودفاتر حافلة بالمعارف الملقاة والمملاة ، غدت فى نهاية المطاف بمثابة كتب تنسخ لطالبيها ، وتتداول بين الناس ، وهذا النمط من الكراريس والدفاتر هو الذى شاع تلبية لحاجات العصر التعليمية وبات يعرف بالأمالى(١) .

وظاهرة الاملاء والأمالى ، كانت ضرورة علمية اقتضتها طبيعة العصر ، واتساع آفاق المعرفة ، فهى وليدة الحاجة التعليمية ، والحياة العلمية فى المسيرة المبكرة للحضارة الاسلامية .

وهكذا غدا اسلوب الاملاء المنحى الشائع لدى المعلمين والمتعلمين فى الأوساط العلمية والثقافية ، كما غدا فى الوقت نفسه النواة الحقيقية لحركة التأليف عند العرب(٢) .

ولفظ « الامالى » اسم منقوص بياء ساكنة غير مشددة ، وهو جمع املاء ، على غير قياس كانسان واناس . والأمالى ايضا جمع املية ومثلها اغنية اغانى . ويقال أملى املاء وأمل املالا(٣) .

(١) انظر : عاديات حلب المجلد الثانى ص ٧٣ .

(٢) عاديات حلب جـ ٢ ص : ٧٤

(٣) عاديات حلب جـ ٢ ص : ٧٦ .

واملت املالا كاخبرت اخبارا لغة الحجازيين وبنى أسـد ، وبها جاء قوله تعالى :

﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (١)

وليملل اى يسمع الكاتب الالفاظ التى يكتبها ويلقيها عليه . واملال والاملاء لغتان فصيحتان . وليملل أمر من املل يملل ، فلما سكن الثانى جزما ، جرى فيه لغتان : الفك ، وهو لغة الحجاز ، والادغام وهو لغة تميم . وكذا اذا سكن وقفا نحو : املل وامل ، وهو مطرد فى كل مضاعف ، ويقال : امللته وامليته ، فقيل هما لغتان وقيل الياء بدل من أحد المثلين . واصل المادتين الاعادة مرة بعد أخرى(٢) .

واغلب الظن ان كلمة « الامالى » بمعنى ما يمليه استاذ على تلميذ على نحو يشبه التلقين . انما تشير الى بواكير حركة التاليف عند العرب ، عندما كان الشيوخ يلقون ما لديهم من المعارف ارتجالا وبشيء من البطء على ملأ من طلاب العلم الذين يتحلقون(٣) حولهم

---

(١) سورة البقـرة : الآية ٢٨٢ .
(٢) الفتوحات الالهية جـ ١ ص ٢٣١ طبع الحلبى بمصر .
(٣) يتحلقون بمعنى من حلقات حول الشـيخ وحلقـات الجامع الأزهر مشـهورة .

فيتلقى هؤلاء عنهم ما يقولونه ويدونونه فى القراطيس . ويغدو بين ايديهم من ذلك فى نهاية الأمر مجموعة من « الامالى التى تصلح لأن تكون نواة لكتاب(١) » .

وتسمية الكتب التى املاها العلماء والشيوخ وتجمعت فى ايدى المريدين بالامالى تسمية عامة واسعة الدلالة . ولهذا كان طبيعيا الا تقتصر كتب الامالى فى موضوعها ومضمونها على علم من العلوم . او من الفنون مادامت صبغتها عامة باعتبارها حصيلة ما يلقيه أو يمليه الشيوخ فى مجالسهم من معارف شتى .

ويلاحظ ان ظاهرة الاملاء لم تبق محصورة فى نطاق كتب « الامالى » المعهودة فحسب ، بل تعدتها الى كتب كان أصحابها من الشيوخ العلماء يملونها على مريديهم وتلاميذهم دون أن تحصل بالضرورة اسم الامالى عنوانا لها .

ومن ذلك أن صاعد بن الحسين البغدادى ، تصدى لتاليف كتاب يفوق كتاب « الامالى » لابى على القالى . وزعم صاعد للمنصور بن أبى عامر انه يملى على كتاب دولته كتابا أرفع منه واجل ، لا يورد فيه خبرا مما أورده ابو على . فاذن له المنصور فى ذلك وجلس صاعد بجامع مدينة « الزاهرة » يملى كتاب «الفصوص» فلما اكمله تتبعه الأدباء والعلماء بالنقد والتمحيص . فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم . فأمر المنصور بأن يقذف كتاب « الفصوص » فى النهر ، فقال بعض الشعراء :

---

(١) ماديات طب جـ ٢ ص ٧٦ .

قد غاص فى الماء كتاب الفصوص　　　وهــكذا كل ثقيـــل يغوص

فاجابه مؤلفه صاعد بن الحسين بقوله :

عــاد الى معدنــه انمــــا　　توجد فى قعر البحار الفصوص(١)

وطريقة التأليف فى « الامالى » هى أن يقصـــد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتابا يسمونه « الامالى » وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية(٢) .

فالأمالى ما يمليه استاذ على طلابه فى العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث ولغة وأدب . ومن هنا وتبعا للمدلول الواسع لكتب الامالى كثرت الكتب التى تحمل هذا الاسم كثرة بالغة فى التراث العــربى(٣) .

ولعل القارىء يعرف أنه الى عهد قريب كان تحفيظ القرآن الكريم فى الكتاتيب المنتشرة للناشئين فى القرى والأمصار ، فى مصر والسودان ، كان عن طريق الاملاء .. وذلك بأن يأتى الطالب بلوح من صفيح أبيض طوله تقريبا ثلاثون سنتمترا وعرضـــه عشرون سنتميترا وبعد أن يجيد الطالب حروف الهجاء وتراكيبها يبدأ الشيخ المعلم ويسمى « الخطيب » وسيدنا ، فى التملية ، فيملى على الطالب كل صباح يوم آيات من القرآن الكريم ، ويقـــوم الطالب بحفظها

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسى ترجمة الدكتور أحمد مؤنس ص ٦٧ .
(٢) كشف الظنون لحاجى خليفة الجزء الأول ص ١٦١ طبع القاهرة .
(٣) عاديـــات حلب ج ٢ ص ٧٧

وتجويدها ويتدرج فى ذلك كما وكيفا حتى يتم حفظ القرآن الكريم كله . ومن المدهش حقا ان هذه الطريقة تخرج عليها كل من يجيد حفظ القرآن الكريم ، وصاحب هذه الكلمات قد حفظ القرآن الكريم فى سن مبكر عن طريق الاملاء فى كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم . والكتاتيب جمع كتاب « بتشديد التاء » وهو المدرسة الخاصة بالقرآن الكريم .

ونظرا لأن تدوين الحديث النبوى كان الباعث الأول للحركة العلمية عند العرب فانه من الطبيعى أن يغدو رواة الحديث وعلماؤه رواد حركة التأليف التى نشطت فى القرن الثانى الهجرى ، وأن تنتقل طرائق المحدثين تبعا لذلك الى سائر رجال العلم والأدب . وقد استتبع ذلك أيضا تشارك المحدثين واللغويين فى طريقة الاملاء(1) .

والى ذلك يشير السيوطى فى قوله :

« ان من وظائف الحافظ فى اللغة اربعة : احداها وهى العليا الاملاء كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الاملاء ، وقد املى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير ، فأملى ثعلب مجالس عديدة فى مجلد ضخم ، وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ، وأملى أبو محمد القاسم بن الانبارى وولده أبو بكر مالا يحصى وأملى أبو على القالى خمسة مجلدات وغيرهم وطريقتهم فى الاملاء كطريقة المحدثين »(2) .

---

(1) ماديات حلب جـ ٢ ص ٧٨ .
(2) المزهــر للسيوطى جـ ٢ ص ٣١٣ .

ويعلق أحد العلماء على كلام السيوطى قائلا : وواضح ان السيوطى فى هذا النص يؤكد على التلازم بين طرق المحدثين وبين طرق اللغويين وهذا يعني بعبارة أخرى انه تم التوصل فى مرحلة التفتح الحضارى عند العرب الى ايجاد منهج ركين أصبح قسمة مشتركة لمجموعة من علوم العصر وقاعد وطيدة للبحث والتأليف والتعليم(١) .

والنتائج التى نبغى الوصول اليها هى أن « الأمالى » كانت حركة علمية واكبت التقدم العلمى الذى شهدته الامة الاسلامية فى ازدهارها ، وكانت للأمالى مكانة سامية ، ووسيلة من وسائل تسجيل العلوم ، واستمرت مجالس الأمالى تؤدى دورها فى مجتمع اهتم بالعلم ، وتطلع الى العلماء ، وصار الناس يتناقلون ما جاء بالأمالى ويتدارسون ما فيها ، فتوسعت المدارك ، وتفتحت العقول، وتنبهت الأذهان ، وتحرر الناس من أصفاد الجهل وظلمته .

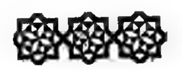
وكتاب الامالى لابى على القالى ، من أمهات الكتب الأدبية المعدودة ، كثيرا ما نجد ائمة اللغة والادب ينظمون فى كتبهم من درره، ويغترفون من بحره ، وهو تأليف جزيل الفائدة ، جم النفع ، لمن يريد التعمق فى علم اللغة ، وتزيين عقله بالآداب العربية ، والاخبار المنتخبة ، والأشعار المختارة ، والأمثال المستجادة ، والحكم البالغة(٢) .

---

(١) عاديات حلب جـ ٢ ص ٧٨ .
(٢) من كلمة لمحقق كتاب « الأمالى » لابى على القالى ص ١٨ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وأبو على القالى يقول فى مقدمة كتابه « الأمالى : لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة ، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية ، ثم أعملت نفسى فى جمعه ، وشغلت ذهنى بحفظه ، حتى حويت خطيره وأحرزت رفيعه ورويت جليله، وعرفت دقيقه ونقلت شارده ، ورويت نادره ، وعلمت غامضه ، ووعيت واضحه ، فأمليت هذا الكتاب من حفظى فى الأخمسة بقرطبة وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، وأودعته فنونا من الأخبار ، وضروبا من الأشعار ، وأنواعا من الأمثال ، وغرائب من اللغات ، على أنى لم أذكر فيه بابا من اللغة إلا أشبعته ، ولا ضربا من الشعر إلا اخترته ، ولا فنا من الخبر إلا انتخلته ، ولا نوعا من المعانى والمثل إلا استجدته ثم لم أخله من غريب القرآن ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم »(١) .

وينفرد كتاب « الأمالى » لأبى على القالى بأنه فى طليعة كتب الأمالى وأشهرها اطلاقا وطبع طبعات متعددة ، ولا زال منهلا لرواد اللغة والأدب والنوادر والأمثال .



---

(١) مقدمة أبو على القالى لكتابه « الأمالى » ص ٢٤ طبع الهيئة المصرية العامـــــة للـــكتاب .

العقيدة العلمية فى الإسلام

العقل هو القوة المنبهة لقبول العلم ، وسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من الزلل . ويقال للعلم الذى يستفيد منه الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال على كرم الله وجهه :

رايت العقـــل عقلـــين فمطبـــوع ومســـموع
ولا ينفـــع مســـموع اذا لم يـــك مطبـــوع
كما لا تنفـــع الشمـــس وضـــوء العـــين ممنـــوع

والى العقل الفطرى المطبوع ، يشير ما روى الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : **(ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل)** وكذا ما جاء من أن : (أول ما خلق الله العقل) .. والى العقل المكتسب يشير ما روى : **(ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى)** .

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية فى مسيرتها

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشـــتقاته ومترادفاته ومعانيه المختلفة فى اكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الألفاظ التى تدل عليه او ترشـــــد وتشير اليه من قريب أو من بعيد من التفكير والتدبر ، والتذكر ، والحكمة ، واللب ، والنظر ، والرشد ، والراى ، والعلم، والفقه ، والقلب ، والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والألفاظ التى تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها . مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل واهميته بالنسبة للانســـــان .

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب، ويشرح الصدور . . وليس أتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل فى القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائف فى الحياة الانســــانية .

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذى ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذى امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء ، والمتعقلون . قبل أن يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، وأثرا فى داخله وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه .

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف .

العقل رشـــد يميز بين الهداية والضـــلال .. العقل روية وتدبير .. العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار .. العقل ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لمـا يكون وتحفظ وتعى، وتبدىء وتعيد ، والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل أمر بمعـــروف ، وكل نهى عن محظور . أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد ؟ أفلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء .

والاشـارة الى العقــل لا تأتى فى القرآن الكريم عارضـة ، ولا مقتضبة فى سياق آية ، بل هى تأتى فى كل موضـــع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، أو يلام فيها الفكر على اهمال عقله ، ولا يأتى تكرار الاشـارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسـانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هى تشمل وظائف الانسـان العقلية على اختلاف ، أعمالهـــا وخصائصـــها .

فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع ، ولا فى العقــل المدرك ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصـادق ، والحكم الصحيح،

بل يعم الخطـــاب فى الآيات القرآنية ، كل ما يتســـع له الذهن الانسانى من خاصـة او وظيفة .

فالعقل فى مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الأخلاقى أو المنع من المحظور والمنكر .

ومن خصائص العقل الانسانى التى تميز بها :

اولا : أنه ملكة الادراك التى يناط بها القيم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الأخلاقى ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل أحيانا بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهى .

ثانيا : ان العقـــل يتأمل الأمر يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه واسراره ، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه .

ثالثا : ومن اعلى خصائص العقل « الرشد » ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لأن الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليهـــا مزيد من النضـــج والتمام والتمييز .

والعقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ويوازن بين الاضداد ويتبصر العواقب والنتائج ويتدبر ويحســـن الأذكار والرواية . ومن هذا المنطلق الاســـلامى ، تعـــمق العلماء المســـلمون فى علوم الحياة والحضارة الانسانية ، وبعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الأطباء

والفلكيين والرياضيين والكيمائيين ، وأوائل من اكتشفوا حقائق علمية فى مجالات كانت اول المعالم على طريق الباحثين والدارسين..
وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على انه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع . ومن الحوادث الدالة على العقلية الموضوعة فى الفكر الاسلامى ، ما حدث مصادفة أن كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله علية وسلم . فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته)** .

وهكذا يقرر الرسول الصادق الامين ، مبدا علميا ، ظل أبد الدهر ،هاديا الى طريق الرشاد. وفى حادثة فيضان النيل بالاقليم المصرى ، موضوعة علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامى ، وطهارته . وذلك انه كان الاعتقاد السائد فى مصر قبل الفتح الاسلامى : أن النيل لا يفيض الا اذا ألقيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا . فلما حان وقتذاك . كتب الوالى الى عمر بن الخطاب، فى المدينة المنورة ، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون . فأجابه عمر ، بأرسال رسالة يلقيها فى النيل ، وكان فى الرسالة : (من عمر امير المؤمنين الى النيل . ان كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك لنا) .

ويهذا قضى المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمى و عقلى فى الحياة .

وبالعقلية العلمية كانت علوم المسلمين ، هى أساس الحضارة فى العصر الأول واخذت الحركة العلمية تتدرج فى اطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة اطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائى حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة.

ولما كان العقل فى الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، فى تحريره ليظل العقل عاقلا، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الاسلامى يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل فى المتاهات الفلسفية .

ومن شأنها ايضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل فى ميادين الخير، وما يفيد المجتمع الاسلامى والانسانى .

واول دعامة فى المنهج الاسلامى فى تحرير العقل والفكر هى تحرير الانسان من اصفاد الجهل وظلمته .. لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمى البصائر ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذى يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير .

والدعامة الثانية فى المنهج الاسلامى .. هى تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية

اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة . ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لأن كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس فى صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذى يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذى يجب أن يجتنب .

وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانســان من أغلال الحجر العقلى عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وأنذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب،قال تعالى فى سورة الحج:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ﴾ (١)

والدعامة الثالثة فى المنهج الاسلامى .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها .. لأن طاعة الاهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان فى ســلوكه والتوائه فى نظره ، وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الاهواء لا يســتقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم .

(١) سورة الحج . الآيتان ٨ ، ٩ .

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعى عليهم ضلالهم ، فقال تعالى فى سورة القصص : ((**فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين**))(١) .

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : (**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**) .

قال الحافظ الامام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهى وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه .

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامى ان يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به فى الطريق المستقيم .. فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمة ، ومن شأنها ان تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام .

اولا : ان الناس فى الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين لأن الناس على درجات مختلفة ومراتب متباينة .. فهناك فريق من الناس قد لا تهيىء له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة .. وثمة فريق آخر لم تمده وراثته الا للسطحى من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته

(١) سورة القصص . الآية رقم ٥٠ .

التربية فى دائرة ضيقة من المرئيات .. وهنك من سجنته الخرافات والاساطير .. ومن الناس من جرفه تيار المـــادة ، فلم يعد يرى الأشياء الا بمنظار مادى .. لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير فى ملكوت السموات والأرض .

قال تعالى فى سورة الغاشية :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى فى سورة ق :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الغاشية . الآية رقم ١٧ — ٢٠ .
(٢) سورة ق . الآية رقم ٦ — ٨ .

وهناك كثير من الآيات التى تدعــو الى التفكير والنظر فى السموات والأرض وما خلق الله فيها .. ليصـــل الانســـان الى الايمان بالله ، فيرتقى الى السمو والكمال .

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة .

ويسوقها قطيع من الغثاء البشرية . وقــد حرمت هــذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لافرادها اى شان .

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكير والتدبر . بل استنهض العقول ووجه الأفهام ، وايقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى فى ســـورة الرعد : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »**(١) .

وقوله تعالى :

« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٢) .

وقوله تعالى فى ســـورة طه : **« ان فى ذلك لآيات لأولى النهى »**(٣) .

---

(١) سورة الرعد . الآية رقم ٤ .

(٢) سورة الرعد . آية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الآية ١٣

(٣) سورة طه . الآية رقم ٥٤ .

وقوله تعالى فى ســـورة يونس : ((**ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون**))(١) .

وقوله تعالى فى ســـورة الرعد : ((**انمـــا يتذكـــر اولو الالباب**))(٢) .

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدى الى الرشد .. كما قال تعالى فى سورة الزمر : ((**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعـــون احســـنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولـــو الالبـــاب**))(٣) .

وهكذا نرى ان الاسلام قد عمل على تطهـــير النفوس من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة لأن ذلك من اكبر العـــوامل فى اعتدال النظر واستقامة التفكير . ومن هنا كانت حملة الاســـلام شـــديدة على الذين لا يستعملون عقولهم ، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين فى بيداء الضـــلال ، ومنقادين وراء سراب كل البدع والأهواء .

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل واغلال الحجر العقلى وسيطرة التبعية العمياء ـــ كما عرفنا فى دعائم المنهج الاسلامى فى تحرير العقل ـــ فان ذلك يعنى أن التقليد

---

(١) سورة يونس . الآية رقم ٦٧ .
(٢) سورة الرعد . الآية رقم ١٩ .
(٣) سورة الزمر . الآية ١٧ ، ١٨ .

الذى ذمه الاسلام . هو التقليد الذى لا يميز بين الخير والشر وتقليد أهل الغواية والضلال .

أما تقليد أهل الحق من الائمة والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. فهو من قبيل القدوة الواعية.

وحرية الفكر التى دعا اليها الاسلام هى الحرية التى تطلق العقول والأفهام من أغلال الحجر العقلى ، والكبت الفكرى ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه ، قيادة بناء واصلاح وارشاد .. تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته.

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الأساسية والاعتقادية فى حياة النفوس .. أما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذى يزن كل معطيات الحواس .. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى فى سورة الاسراء : ((**ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا(١)**)) .

وهذه الآية تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية ، أو رؤية بصرية ، أو براهين عقلية ، وهى طرق الاستدلال التى تنحصر فى العقليات والسمعيات والمحسوسات .

لهذا كله اقبل المسلمون على العلم ينشدونه فى مظانه ، ووجهوا عزائمهم على الفكر الأصيل القائم على توجيهات الاسلام.

---

(١) سورة الاسراء . الآية رقم ٣٦ .

واننا نجدهم اهتموا بشيء واحد وعرفوا شيئا واحداً ، هو الاسلام والفكر الاسلامى فانتبهوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية .. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يثن عزائمهم باساء الحياة .. واقاموا الحضارة الاسلامية التى تخطت مراحل النهوض فى تاريخ النهوض والأمم .

واستطاعوا فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ ان ينتقلوا من أمة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ، ورواد المعرفة والحضارة ..

وبحثوا ، ودرسوا، واضافوا، وجددوا ، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضارى الأصيل وقد حققوا ذلك على الرغم من الأحداث العاتية التى حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها.

لأن الأحداث والخطوب ، وان بلغت ما بلغت ، لا تستطيع أن تقف فى طريق العقائد التى انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب اذا قلنا انه لأول مرة فى تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ، جعلتها فريدة فى التاريخ وفريدة فى تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذه الخصائص والميزات نجملها فى النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسي للقيم الحضارية ، قال تعالى فى سورة الرعد :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب(١) » .

والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف ان يسقط ، وتمسك القوى ان يجمح ، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم ، وعماده الرضا والقناعة ، ونور الأمل فى الصدور.

ولهذا كرر رب العزة ، النداء فى القرآن الكريم بصيغة « **يايها الذين آمنوا** » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل انواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم هذا الى ماينطوى عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفى النداء « يا أيها الذين آمنوا » زيادة ايناس وتكريم ، لأن احب شيء الى الانسان هو أن تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما فى الانسان شيء أقرب الى الله من الايمان به .

---

(١) سورة الرعد . الآية رقم ٢٨ .

والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالى تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، فى أى شأن من الشئون ، وفى اى درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بهذا النداء « **يا ايها الذين آمنوا** .. » فى تسعة وثمانين موضعا .. والآيات التسع والثمانون فى جملتها ، تبين ان هناك روحية فعالة ، جعلت منه قوة هائلة .

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين فى جميع جوانب الحياة .. وهذه الآيات كانت ومازالت أصلا جذريا يمس أساس الأوضاع فى حياة الناس .. والاسلام فيها يراعى حاجة الانسان ومصالحه الحيوية ، فى حدود الحق والفضيلة والعدل .

والاسلام فيها وليد العقيدة التى تطهر النفس ، وتذكى القلب ، وتربى الخلق وتغذى العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطى كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتى وسيره الطبيعى .

والاسلام فيها : عقيدة استعلاء تبعث فى روح المؤمن الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل .

واثر الايمان يبرز بوضوح فى الحضارة الاسلامية التى غيرت وجه التاريخ .

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة الاسلامية ، انهـا تقوم على خلوص النية ، ونقاء الضمير ، والتمسـك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الأخلاق هى الارادة المنفذة ، والضمير الموجه وجملة ما يراد أن يقال ان الأخلاق التى جـاء بها القرآن شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصـدق ، والاخلاص والاستقامة والنظـافة ، والاصلاح ، والاخاء والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، وحسن الضيافة والتضامن ، والتكامل والطهر ، والعفو ، والحب، والشكر ، والتسامح ، والسلام ، ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الأخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث والكذب وشـهادة الزور ، والبطر والجبن والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاص ، والنميمة والسرقة ، والخمر ، والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالألقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرسـالة الأخلاق فى الاسلام اعلاء كلمة الحق واقامة ميزان العدل فى الخلق .

ثالثا : وفى الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبـادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامى ، تستهدف مصلحة الفرد ومصـلحة

الجماعة والموازنة والموائمة بينهما ، وتحدد اهداف النشاط الاقتصادى وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر فى وضوح ان الانسان خليفة الله فى الارض ويمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من أين اكتسبه وفيما انفقه ومن هذا المنطلق الاسلامى كان الاقتصاد فى الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الراسمالى ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكى فان الاقتصاد الراسمالى يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة .. والاقتصاد الاشتراكى يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضائل الانسانية أما الاقتصاد الاسلامى فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع، وتضم هذه الفلسفة المتميزة فى اطارها مطالب المادة ومشاعر الروح ، ومكارم الأخلاق .. وفى سبيل هذا الاطار الاقتصادى المتميز حرم الله الربا والغش والسرقة ، واكل أموال الناس بالباطل.
وقد اثبت التاريخ أن الذين تربوا فى مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل فى ايديهم ميزان الحق والعدل ولقد كانت الأمة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا، وتنتشر فيها أرقى الصناعات على اختلافها ، وما تركه المسلمون من تراث علمى ، لأكبر شاهد على ذلك .



العلم والحضارة

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم متطور مع الزمن لاسيما فى تاريخ الحياة العربية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة فى اللغة العربية أنها : تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة فى المدن والقرى ، عكسها (البداوة) وهى حياة التنقل فى البادية ، ولقد عرف الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر .

ولكن اول من تصدى لهذا التمييز على اساس من الدراسة الواعية والتسجيل العلمى .. هو عبد الرحمن بن خلدون ، بل ان هذا العالم هو اول من عالج شئون الحضارة العربية بطريقة علمية تحليلية .

على أنه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها : ذلك النمط من الحياة المستقرة والذى يناقض البداوة ، فينشىء القرى والامصار ويضفى على حياة اصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وادارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة واسباب الرفاهية .

اذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخى واعتبر الحضارة غاية العمران ، فان مفهوم الحضارة فى عصرنا قد امتد

الى الوان من المعنى هى ابعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره، وفى بيئته العربية فى انتقالها الاجتماعى والسياسى والثقافى والمدنى من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ (مدنى) بمعنى (اجتماعى) فان مفهوما آخر ظهر واتصل بها واصبح الآن يعرف بالمدنية بل ان ابن خلدون ذاته كان سباقا ايضا فى هذا المجال اللفظى فاستعمل صيغة التمدن وكان يعنى بها (التحضر).

على ان تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت فى بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا فى جهات قليلة جدا خارج عالمنا العربى ولذلك فان لفظ الحضارة فى مفهومه العالمى ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد اصبح اكثر اتساعا مما كان يدل عليه فى مفهومه اللغوى التقليدى .. واذا كان اصل الحضارة الاقامة فى الحضر . فان المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى أن الحضارة هى الرقى العلمى ، والفنى والأدبى ، والاجتماعى فى الحضر .. وبعبارة اخرى اكثر شمولا ، هى: الحصيلة الشاملةللمدنية والثقافة والفكر ، ومجموع الحياة فى انماطها المادية والمعنوية ولهذا كانت الحضارة هى : الخطة العريضة ــ كما وكيفا ــ التى يسير فيهــا تاريخ كل امة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة .. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى ، التى تصور انتقال الانسان أو الجماعات ، من مرحلة الى مرحلة .

والحضارة باختصار شديد هى جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ والتى تبقى فى المجتمع على مر الأيام دليـلا على القدرات الذهنية المميزة ، وتعبيرا عن روح هذا المجتمع والشعب الذى يمثله . ولا شك ان المظاهر المعنـوية تاخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتشكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد فى الاثار والعمائر واسلوب الحياة وآداب المعاش اليومى وتقاليد المجتمع فى التقارب والتفاهم والتعايش .

والمدنية هى الوسائل والأدوات المـادية التى يستعين بها الانسان على تحقيق حضارته وهى العديد من الاشياء والأدوات المادية التى تعين الانسان على التقدم فى مضمار الحضارة ، واذا كانت الحضارة هى الابداع فى مجالات الفنون والمعارف والعلوم فالمدنية هى السبيل الى تذليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التى تبلغ بها الحضارة مستوى الابداع والتقدم وكلمـا سيطرت الحضارة على وسائلها امكنها ان تحقق الوانا من الفن والابداع الذى تسجله الحضارة فى جملة مظاهرها المعنوية .. وقد تؤدى الماديات المختلفة الى رفع مستوى التقدم الحضارى . وقد تؤدى الى تخلفه وانحداره .

والذكاء الانسانى فى مجال استخدام المـاديات هو الحكم فى توجيه هذه الماديات فاما ان يسير بها سيرا حثيثا نحو الابداع

والتألق والتقدم . أو ان يهبط بها الى مجـال العبث والفسـاد والتدهور .. واما ان تسيطر القيم الروحية العالية على هـذا الذكاء فتحدد مساره وتربطه باهداف انسانية عالية .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية ، فان الواقع يبين للبـاحث والمفكر ، والدارس ، ان الحضـارة الاسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها ، واسباب نمائها وازدهارها .. من الاسلام ذاته .. والاسلام كان لايزال دين الحضارة والانسانية ، بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة وانه انشأ لونا من الحضارة ، عرف باسمه ، وهو الحضارة الاسلامية .

وقد قامت الحضارة الاسلامية ، على دعائم اساسية ، جعلت منها حضارة عاليـة متميزة ، وفريدة فى تاريخ البشرية .. ومن ذلك :

اولا : ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منـه قوة فاعلة والشيء المهم فى هذه القوة الفاعلة ، انها كانت أصـلا جذريا .

ثانيا : ان الاسلام كان دين دعوة .. وفكرة الدعـوة فى الاسلام .. وقد واءمتها ظروف الانتشار فى النطاق العالمى ، وفى ظلال الدعوة المستمرة تمكن الاسلام من نشر طابعه الحضارى ، كعقيدة للحياة ، وان يصبح فى أقل من ربع قرن ، مقوما أساسيا من مقومات الحضارة الانسانية .

ثالثا : كان الاسلام دينا سهلا غير معقد ، ولا مركب فى عقيدته ، وكان فى الوقت ذاته دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة :

« وقال ربكم ادعونى استجب لكم(١) » .

« واذا سالك عبادى عنى فانى قريب(٢) » .

ولا نجد عقيدة تطلب من الانسان شهادة ابسط من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها : **« لا اله الا الله محمد رسول الله »** .. عبارة سهلة رائقة .. تقف بالعاقل على عتبة الدخول فى الاسلام، موقفا سهلا والمقوم الأصيل فى هذه البساطة ، أن القرآن الكريم هو الوعاء الأساسى للعقيدة كلها .

رابعا : كان الاسلام دينا رحبا يدعو الى سبيل العقل ، فى حدود اصول العقيدة كما يدعو الى سبيل الضمير ، والحق .. ومن هنا كانت الدعوة الى النظر ، والى المعرفة ، اساسا من أسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة .

والاسلام فى رحابته الحضارية ، استطاع ان يمتص الوان الحضارات فى البلاد التى اوقد فيها قناديل الضياء وان يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

---

(١) سورة غافر . الآية رقم ٦٠ .
(٢) سورة البقرة . الآية رقم ١٨٦ .

خامسا : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافى ، قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ، ما كان لها من طابع ، ومن مكانة .

سادسا : القرآن الكريم ذاته : وذلك ان القرآن كان أعظم ما عرفته الانسانية فى تاريخها الممتد الطويل .. وقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى السليم .

تنشده الانسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والحربية ، والقوانين المدنية ، والأنظمة الدولية وبعبارة أوجز .. تجد فيه الأمة كل ما تحتاج اليه فى حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا .

سابعا : اللغة العربية نفسها كانت دعامة من دعائم الحضارة الاسلامية وذلك لأنها اعرق اللغات منبتا واعزها جانبا، وأقواها جلادة وأغزرها مادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول فى النفس .

وعندها من المرونة على الاشتقاق والقبول للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب . ما يمكنها من الاستمرار فى عطائها ، نزل القرآن بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا ، وأقوى أستقرارا ، وبفضل القرآن صارت العربية ابعد اللغات مدى ، واوسعها أفقا ، واقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية ، واستطاعت العربية فى ظل عالمية الاسلام، أن تتسع لتحط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتقى حتى تصل ارقى

اختلاجات النفس ، وليس هناك معنى من المعانى ، ولا فكر من الأفكار ، ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية علمية من النظريات، تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات ، وتجسيده داخل الكلمات .

ثامنا : وبجانب هذا وذاك ، كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالعصر الذى ظهر فيه الاسلام ثم بالعنصر البشرى.. والتكوين السكانى فأما عن العصر فقد كان الاسلام ختام الأديان السماوية وكان الاسلام بذلك رباطا لها من الناحية التاريخية كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا لها ، لما اصابها من تخريف الفلاسفة والوثنيين .

ولقد كان هذا كله ، قوة دفع للفكر الاسلامى ، وما يتصل به من حضارة ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامى على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية فانتشر طابع الحضارة الاسلامية على فعالية لم يعرف لها مثيل فى تاريخ الانسانية .

تاسعا : ومما يذكر ان ترسيخ معالم الحضارة الاسلامية ، قد تضاعف بفعل مقوم انسانى آخر ، وهى تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام ، ثم هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل ، وهى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الاسلامية .

.. ومن وراء كل ذلك هناك الايمان بالله فهو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من أن يسقط ، وتمسك القوى من أن يجمح ، وتعصم الغالب من أن يطغى ، وتمنع المغلوب من أن ييأس.

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر واعزاز حرية الانسان وكرامته وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس فى ظلال اخاء شامل وعدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية السامية .

فان واقع الأمر يبين لنا أن الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصر وجودها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبقته فى جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضا فى البلاد التى انتشر فيها ألوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والآشورية والبابلية والاغريقية .

فان الاسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى شملها لونا عظيما من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسلمين فى مختلف الأقطار وبلاد الدنيا .

وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحى رسالة السماء التى تمدها بالروح والقوة والتماسك

وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعـد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة المفسدة .

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعباد. والتنظيم والتمسك بها تشرع من آداب السلوك والمعاملة .

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على راى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل اساليب القوة والمنعة .

وفى نظامها الاخلاقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضـمير والتمسك بقيم الخير والحـق والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالبشرية الى الكمال والسلام .

وفى نظامها الاجتماعى تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على أسـاس من المودة والرحمة والاخلاص وتعاون المواطنين على الخير والبر وقيام كل راع بمسئوليته .

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

وفى نظامها التشريعى تقوم على اصول رئيسية واسعة وقـد تمثلت هذه الناحية فى ثروة الفقه الاسلامى تجلت فيهـا عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى .

وفى نظامها الثقـافى تعتمد على طلب المعرفة من كل مطلب ممكن ومن اى مكان واستخدام العقل فى كسب المعارف وتسخير

الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية ونستطيع أن نصل الى ان الحضارة الاسلامية :

ــ وصلت بين قديم الحضــارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة .

ــ انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب فى الحضارة واستعباد وظلم اجتماعى .

ــ أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى أسمى صورها واصفاها ومجتمعا جديدا يقــوم على التعــاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع .

ــ أعطت الانسانية ذخيرة ضخمة من المعارف أفــاد منها الغرب فى عصر الأحياء والنهضة واعتمد عليها العالم العربى فى يقظته الحديثة فى بناء نهضته المعاصرة .

ــ وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث ــ كطريقة الشــك عند (الغــزالى) كما فتحت آفاقا جديده فى البحــوث الانسانية ــ كفلسفة التاريخ عند (ابن خلدون) وعلم البصريات على يد (ابن الهيثم) وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور علوم الرياضة على يد (الخوارزمى) وعمر الخيام .

ــ ساعدت بآدابها على نهضة الآداب فى اوربا وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه .

ـ ساعد خلفاؤها وقادتها ـ بسلوكهم الأخلاقى وبنماذج المروءة والشرف التى تحلو بها على اشاعة المثل الأخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السلم أو فى الحرب .

ان من يمعن النظر .. فى أعماق الحضارة الاسلامية ، وما حققته للانسانية من اسباب النمو ، وعوامل الازدهار .. ويلم بما جاء به الفكر الاسلامى ، من مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة .

ان من يتعمق فى ذلك .. يدهشه مدى عمق التفكير الواعى الذى بلغ ذروته علماء الاسلام .. ويتضاعف اعجاب الباحث ، بهذا الفيض الزاخر من الجهود العلمية العظيمة التى ملأت الدنيا. وتزداد دهشة المفكر ، ويتعاظم تمجيده ، لحركة التحول الخطيرة التى اصابت المجتمع العربى ، فى تلك الفتره القصيرة .

ترى .. اى سر هذا الذى استطاع أن يحول عرب الصحراء الى اساطين فى العلم ، ومشاعل فى الحضارة ، وافذاذ فى المعرفة ، ومنارات فى الثقافة ؟ واى قوة رفعت العرب من حال البداوة التى كانوا عليها ، الى ابطال وقادة ، غير هيابين ولا وجلين .

وترى .. كيف نفسر سرعة تطور العرب من الجاهلية الجهلاء الى الحضارة العلياء فى أقل مدة عرفتها الانسانية ؟ .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة (سيجريد هونكه) : « ان هذه الطفرة العلمية الجبارة ، التى نهض بها ابناء الصحراء ، من

العدم ، من اعجب النهضات العلمية الحقيقية . فى تاريخ العقل البشرى » .

وليس من المعقول فى نظر المفكر .. والباحث ، والدارس.. ان يظفر الفكر العربى الذى قيدته ظروف الحياة القبلية الآسنة اليبوس ، الى مثل هذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هنالك الاسباب القوية التى دفعت به الى الحياة المتحركة دفعا .

ومن المسلم به ، انه لم تظهر قبل الاسلام .. اية دلائل على التطور الفكرى من العرب المنتشرين فى الجزيرة العربية .. وكان الشعر ، والخطابة والتنجيم أحب شىء الى عرب الجاهلية .

اذن .. ما هى الاسباب التى استقى منها الفكر العربى ، مادة حيويته ، وتطوره ؟ وما هى الموارد التى نهل منها اسباب تكامله وقوته ؟؟ ..

ان المنبع الاول والاصيل فى كل ذلك .. هو : القرآن الكريم.. وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب .. وانما كان الى جانب تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها من عقائد ، وعبادات ، وأوامر ، ونواهى كان أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية فى تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن .. وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى الصالح .

ولقد كان أول اثر من آثار القرآن الكريم فى الفكر الانسانى.. اهتمامه الواسع بالعلم .. وذلك أن العلم أساس التقدم والتعاون،

وتبادل الخبرات والمنفعة ، وقد كانت عناية القرآن بالعلم .. تفوق حد الوصف .

تأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق ، فى مظاهر الكون واحداث الماضى .

ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية .. احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والأحياء ، والنبات .. والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين ، والصناعة، والتجارة ، والمال ، والاقتصاد .. الى غير ذلك من أمور الحياة.. واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب ، فى السلم والحرب ، وفى ساسة الحكم واقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية .. وكل ما يتصل ببناء المجتمع .

وهذا كله بخلاف العبادات ، والعقائد ، والتكاليف ، والقصص ، والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا .. مما كان محلا للدراسة والاستنتاج والتخريج ، والتأصيل ، والبحث ، والتنقيب .. وكان أساسا لعلوم الفقه ، والتفسير ، والحديث والأصول والأخلاق ، والبلاغة ، والأدب.. ذلك أن القرآن من العمق ، والاتساع ، والعموم ، والشمول .. بما يقبل تفهم البشر له .. أيا كان مبلغهم من العلم ، وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، ويتجاوب مع أهل البداوه فى يسر ، ويبهر

فى عمته أهل الحضارة الذين صعدوا فى سلم الرقى وبرعوا فى فنون العلم والمعرفة .

لقد كرم الاسلام العلم ، وحث المسلمين على المزيد فيه ، والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول المظلمة ، ويحيى القلوب الميتة، ويهدى النفوس الحائرة ، ويرقى بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو بالقواعد الحضارية . وقد كانت عناية الاسلام بالعلم تفوق حد الوصف حتى ان كلمة العلم بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد فى أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم . وهذا ينبىء عن مكانة العلم فى الاسلام .

والقرآن الكريم نفسه مشتق من القراءة ، والقراءة مفتاح هائل من مفاتيح العلم للانسان ، وطريق دائم للمعرفة . والانسان مهما كان ضعيف العلم والثقافة فانه الى نمو فى الثقافة والعلم مادام يقرأ . . وأول ما نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وحى السماء ، عندما كان يتحنث فى غار حراء ، خمس آيات من القرآن الكريم ، هى قوله تعالى فى سورة العلق :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [١].

---

(١) سورة العلق . الآيات ١ — ٥ .

ففى هذه الآيات الخمس ، بدأ الوحى الالهى بالقراءة فى أول آية ، وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد تكرر الأمر بالقراءة فى الآية الثالثة . واوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى . وهـو التعليم ، وزاد التأكيد بذكر القلم .

« والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده .. اذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس وبذا تقيد أخبـار الماضين للباقى اللاحقين . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، ودرست السنن وتخبطت الأحكام ، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف .. وكان معظم الخلل الداخل على الناس فى دينهم ودنياهم ، انما يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع . كالاوعية التى تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان . فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم . والتعليم به كذلك(١) » .

وقال تعالى فى سورة القلم : **« ن والقلم وما يسطرون(٢) »** فالله يقسم بالقلم والكتب ، فتحا لباب التعليم بهما ، ولا يقسم الله الا بالامور العظام . فاذا اقسم بالشمس والقمر ، والليل والفجر، فانما ذلك لعظمة الخلق ، وجمال الصـنع ، واذا أقسـم بالقلم

---

(١) انظر : تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٦٢٠٩ .
(٢) سورة القلم . الآية الأولى .

والكتب ، فانما ذلك ليعم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس ، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية(١) .

وما أروع لفظ (وما يسطرون) حيث يشمل كل فنون الكتابة والتعبير عما فى الضمير بالرسم والتصوير ، ويشمل كل آلة او نظام استحدث للتوصـــل الى ذلك من آلات ومعـــدات حدثت أو ستحدث(٢) .

فانسانية الانسان لا تكمل الا فى ظل المعرفة الصادقة ، والعلم البناء المثمر الذى يوضح المعالم ، ويهدى الى الرشاد . قال على رضى الله عنه :

ما الفخر الا لا اهـــل العلم انهم على الهـــدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم اعـــداء
ففز بعـــلم تعش حيا به ابـــدا الناس موتى واهـــل العلم احياء

والاسلام يحض المسلمين على طلب العلم ، والتفقه فى الدين، والبحث الدقيق فى كل مجالاته وفنونه وفروعـــه . وأن يتحملوا المشاق فى سبيل تعلمه وتحصيله ، وأن يبذلوا كل طاقاتهم فى طلب المزيد منه . وأن يتعلموا كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكل ما يعود عليهم وعلى الأمة الاسلامية ، والمجتمعات الانسانية بالخير والرقى .. قال تعالى فى سورة التوبة :

---

(١) راجع تفسير الشيخ المراغى ج ٢٩ ص ٢٧ .
(٢) كتاب التفسير الواضح للشيخ حجازى ج ٢٩ ص ١٣ .

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (١)

فهذه الآية الكريمة تشير الى ان تعلم العلم أمر واجب على الأمة جميعا وجوبا لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن الاسلامى . فان الوطن يحتاج الى من يناضل عنه بالسيف، والى من يناضل عنه بالحجة والبرهان .

وفى الآية — كما جاء فى تفسير المراغى — اشارة الى وجوب التفقه فى الدين والاستعداد لتعليمه فى مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذى تصلح به حالهم . فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التى يجب على كل مؤمن أن يتعرفها والناصبون انفسهم لهذا التفقه ، على هذا القصد ، لهم عند الله من أسمى المراتب ما لا يقل فى الدرجة عن المجاهد بالمال والنفس ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والذود عن الدين والملة . بل هم افضل منهم فى غير الحال التى يكون فيها الدفاع واجبا عينيا على كل شخص(٢).

(١) سورة التوبة . الآية رقم ١٢٢ .
(٢) تفسير المراغى ج ١١ ص ٤٨ .

روى البخارى ومسلم وابن ماجة ، عن معـــاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)** .

وروى أحمد والطبرانى عن صفوان بن عسال المرادى . قال: اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر . فقلت له يا رسول الله انى جئت أطلب العلم . فقال : **(مرحبا بطالب العلم . ان طالب العلم تحفة الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب)**[1].
وروى ابن ماجة عن ابى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(يا ابا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من ان تصلى الف ركعة)** .

وروى الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع)** .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (تعلموا العلم . فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنــه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة . لأنه معـــالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهـــل الجنة ، وهـــو الأنيس فى الوحشـــة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة والدليل

---

(1) تفسير المراغى ج ١١ ص ٤٨ .

على السراء والضراء ، والسلاح على الأعـداء ، والزين عند الاخلاء) .

وانطلاقا من تعاليم الاسلام ، ودعوته الى العلم . أدرك المسلمون مبلغ الحاجة اليـه فى بناء المجتمع ودعم مراكز الأمة . لهذا وجهوا العزائم الى طلب العلوم على اختلاف انواعها . ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة . ولم تثن عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراوتها ، وبحثوا عنها فى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية واقاموا لها فى كل مدينة منارا عاليا ، وحملوا المشاعل المضيئة الى مشارق الأرض ومغاربها ، ولم يقف المسلمون بجهدهم عند نتاج عقولهم وافهامهم . بل اتجهوا أيضا الى علوم السابقين يدرسون ويبحثون ، فاستخرجوا العلوم من زواياالاهمال والنسيان، وكانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير . واكتمل لهم من ملكة العلوم والفنون فى جيل واحد ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة فى مدة أجيال وفى ذلك يقول بعض العلماء المؤرخين : (ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها فى أمة من الأمم الناهضـة الا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال والاجتهـاد . الا العرب وحدهم فقد استكملت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها) .

وتقول الكاتبة الالمـانية الدكتورة سجريد هونكة فى كتابها المسمى (شمس الله تشرق على الغرب) : ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها أبنـاء الصـحراء من العـدم من أعجب

النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى . فسيادة ابناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة فى نوعها .

وان الانسان ليقف حائرا امام هذه العقلية الجبارة التى يحار الانسان فى تحليلها وتكييفها) .

وقد قام العلماء والمفكرون المسلمون بهذه النهضة العلمية التى تخطت مراحل النهوض فى الأمم . قاموا بها على رغم الأحداث العاتية التى حملوا اعباءها الحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها. لأن الأحداث والحروب وان بلغت من العنف ما بلغت لا تستطيع ان تقف فى طريق العقيدة الصحيحة التى انطوت عليها القلوب وتفاعلت بها النفوس .. ولا ان تمنع العزائم القوية من الوصول الى تحقيق اغراضها وأهدافها .

واستطاع المسلمون فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى تاريخ الحضارة ، ان ينتقلوا من امة الأمية الى أمة العلم ، والقيادة الفكرية ، وان يصبحوا قادة للفكر ، وروادا للمعرفة والعلوم والفنون . يدرسونها للأجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتعليم ، وينشرونها فى شعوب كانت تائهة فى عماء الجهل وظلمته ، ويدونونها للأجيال المقبلة كأحسن ما يكون التدوين والتأليف .

وان الامة التى أكرمها الله بالقرآن ، تتطلع الى غد مشرق بالعلم والحضارة وخير للأمة ان تعمل فى حزم وعزم ، لتحقق الأمجاد وتسعد الأفراد والجماعات .

الأسلوب العلمى

جاء الدين الاسلامى الحنيف برسالة ضخمة لتحرير الانسان من عبودية الانسان للانسان ، وعبودية الهوى ، وعبودية الطاغوت ... ولتعبيد الانسان لله تعالى وحده ، دون ان يشركه فى العبادة شريك : « **اياك نعبد واياك نستعين**(1) » .

وقد قام الرسول محمد عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام بحملة توعية اسلامية واسعة النطاق . تدعو الى عبادة الله ، ونبذ الاصنام البشرية وغير البشرية .

ولم يحاول المسلمون فى يوم ما ان يضايقوا الناس فى عقائدهم او بلجوئهم الى عقيدة الاسلام قسرا ورغما عنهم . لان النفوذ الى ضمائر الناس ودخائل نفوسهم بالقوة أمر مستصعب، ولأنه لا يمكن التاثير على افكار الناس وعقائدهم عن غير طريق الاقتناع الذاتى والاطمئنان .

والاسلام برسالته الضخمة يقر هذه الحقائق النفسية ، ويؤكدها بشكل واضح « **قد تبين الرشد من الغى**(2) » .

---

(1) سورة الفاتحة . الآية رقم (٥) .
(2) سورة البقرة . الآية رقم (٢٥٦) .

ولم تتخذ الرسالة الاسلامية وسيلة لدعوة الناس الى هذه العقيدة الجديدة والفكرة الجديدة على البيئة الجاهلية يومذاك غير التوعية والاقناع ، أداة الدعوة المفضلة فى الاسلام ، وتبديد ظلام الجاهلية التى كانت تحجب الناس عن ادراك قيمهم الانسانية ، وفهم واقعهم البشرى ، وصلتهم بالله تبارك وتعالى(١) .

والصراع بين الاحياء من طبيعـــة الحياة(٢) ، وقوى الشر والالحاد تعمل دون هوادة والمعركة مستمرة بين الخير والشر ، والصراع قائم بين قوى الايمان ، وقوى الطغيان ، والشر جامح ، والباطل مسلح .

ومن هنـــا حرص الاســـلام على ان يكون المسلمون على استعداد لمواجهـــة البـــاطل ، مهما تكن التضحيات فى النفس ، والاهل، والمال .. والمواجهة بين الحق والباطل ضرورة مؤكدة(٣) .

وقد اشار الى هذا القرآن الكريم . فقال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ

---

(١) رسالة الاسلام . السنة ٣ العدد ٥/٦ ص ٥ العراق .

(٢) وقد ثبت بالتجربة واستقراء التاريخ ان الصراع أمر لابد من وقوعه بين الناس مهما ارتقت افكارهم ، او تقدمت وتطورت معارفهم وحضارتهم والدليل الواضح على ذلك . ما يقع بين الامم من الحروب العالمية . وهذا التســـابق المحموم من اسلحة الفتك والدمار والخراب رغم ما وصلوا اليه من العلم والحضارة المـــادية والتقـــدم .

(٣) احمد عبد الرحيم السايح . اضواء على الحضارة الاسلامية ص ١٧٩ ط دار اللواء بالرياض السعودية .

وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١)

فليس بامكان الدعوة الاسلامية ان تشق طريقها الى أسماع الناس وقلوبهم ، وتخرق الحجب الكثيفة التى حاكتها الجاهلية حولهم لتحجب النور عنهم .. دون أن تضع حدا للتحرشات التى كان يقوم بها أقطاب الجاهلية بين حين وآخر ، لصد الدعوة الاسلامية وعرقلة سيرها حتى يتاح لها أن تأخذ طريقها الى قلوب الناس .

وفى مثل هذه الظروف لا يمكن أن تقف الدعوة الاسلامية مكتوفة الأيدى وهى تحمل للانسانية أكبر رسالة لتحرير الانسان على وجه الارض .. فحتمية المواجهة تقتضى ضرورة الاستعداد. وليس شرطا أن ينتظر المسلمون حتى يروا امارات الشر والعدوان. وانما على المسلمين أن يدركوا طبيعة الحياة من واقع الناس ، فيبذلوا قصارى الجهد فى اعداد القوة والى هذا يوجه القرآن الكريم المؤمنين بقوله تعالى :

---

(١) سورة الحج . الآية رقم ٤٠ .

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [1]

فالاستعداد بما فى الطوق هو فريضة الجهاد فى الاسلام ، واعداد القوة فى الاسلام والتى جاء الأمر بها ليس المقصود بها اعداد قوة مماثلة لقوة الاعداء ، لأن فريضة الجهاد فى الاسلام لا تنتظر حتى يتم اعداد قوة مماثلة لقوة العدو ، لأن ذلك قد يطول .

لقد ادرك الرسول صلى الله عليه وسلم ان اصحابه أصبحوا قوة ، من النظام الذى بثه فيهم ، والروح المعنوى الذى نماه فى نفوسهم ، واجتماع الكلمة ، وحب الاستشهاد فى سبيل الله . بحيث يستطيع أن يلقى بهم اقطاب الجاهلية وسادة الجزيرة العربية فى أول معركة منظمة . ولو لم يكن يعلم بذلك ، وكان يخشى لقاء قريش مجتمعة فى بدر لذهب الى طريق الشام يلقى غيرها ، ولكان ذلك اهون عليه . لأنه يلقاها فى مكان أبعد عن مكة من

---

(١) سورة الأنفال . الآية رقم ٦٠ .

المكان الذى لقيها فيه . فهو اذن لم يقصد قافلة التجارة لذاتها ، ولكنه أحب أن يلقى معها جيش قريش(١) .

والرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه — فضلا عن ايمانهم العميق بالله ، وتوكلهم عليه ، واعتقادهم أن النصر من عنده سبحانه وتعالى — كانوا يأخذون بالأسلوب العلمى فى كل ما يخوضون من معارك . ففى غزوة بدر نجد انه صلى الله عليه وسلم استعمل اسلوبا علميا دقيقا .

حيث تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى بدر بكتيبة ليس لها من معدات الجيوش مالقريش . فقد كانت الخيالة فيها لا تزيد على فارسين فى رواية ، وثلاثة فرسان فى رواية أخرى . ولم تكن لها دروع ولا اسلحة غير السيوف . بل لم يكن لها ما يكفى من الابل لحمل العتاد والرجال . هذا على حين كان لقريش العدد والعدة . فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة اضعاف المشاة من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان معها من الابل ما يكفى لان يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم . وكان كل ما يعرف من انواع السلاح اذ ذاك متوفر لها بسبب ثرائها ، واستعدادها الدائم للحرب ، وخصوصا هذه المعركة .

---

(١) الاستاذ عبد الرحمن عزام « بطل الابطال » ص ١٣٥ الطبعة الخامسة السعودية .

ولكن شيئا آخر عظيما كان متوافرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من القوة والعدد. أما هذا الشىء العظيم . فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام . فان اهتمام التربية الاسلامية بتنشئة اتباعها على العبادة الخالصة ، وتلقين عقيدة التوحيد ، وارجاع الأمر الى الله مع حسن العمل ، والايمان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة ، وايثار الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة والأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الله والرسول واولى الامر منهم .. ان هذه التربية قد أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل . تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين .

والثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الاسلام نفوسهم فانهم دون مشركى العرب كانوا يؤمنون بالبعث ، فهم لذلك لا يرون فى الموت فناء مطلقا . بل يرون ان وراء ادراك فضل الشهادة حياة أبقى وأسعد من هذه الحياة .

والثالث : وحدة القيادة . فقد كان المسلمون ممتازين بها ، يتفانون فى الاخلاص والطاعة لقائدهم ، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم(1) .

---

(1) الاستاذ عبد الرحمن عزام « بطل الأبطال » ص ١٣٦ الطبعة الخامسة السعودية .

وكان صلى الله عليه وسلم يرسل العيون ليعرف اخبار العدو . وكان يخرج بنفسه ليعرف الأخبار . وكان لا يتعصب لرأى ولو كان هذا الراى رايه . وهذه الصفة من ابرز صفات القائد الناجح ، لا هم له الا النصر . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، ارايت هذا المنزل . امنزل انزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

قال : « بل هو الراى والحرب والمكيدة » . فقال : يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل . فانهض بالناس حتى نأتى ادنى ماء من القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد اشرت بالراى) ونفذ ما اشار به رضى الله عنه(1) .

ورغم ان بدرا تعد اول غزوة من غزوات المسلمين . ورغم انها المرة الأولى التى يقف فيها الرسول الكريم موقف المحارب .

فان الباحث والدارس يستخلص من هذه الغزوة دروسا حربية لها قيمتها العلمية فى مجال الحرب . ويستخلص أيضا مبادىء خطيرة لها شانها . ورغم اختلاف العصر الذى نعيش فيه ، والعصر الذى تمت فيه معركة بدر الكبرى ، فان هذه المبادىء لم تتغير ، ولم تتبدل ، لانها الأساس السليم لكل حرب فى كل عصر . ومن اهم هذه المبادىء :

---

(1) ابن هشام « سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ج ٢ ص ٤٥٢ .

١ ـ الاستكشاف والاستطلاع :

ونلاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام اهتم اهتماما بالغا بالاستكشاف والاستطلاع . وانه كان يقوم بنفسه تقديرا منه للنتائج الخطيرة التى تترتب على الاستكشاف السليم الصحيح .

كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يختار من يثق بهم لأداء هذه المهمة الخطيرة وتنظيم القناصة واختيار الصالحين لهذه العملية ، وعدم فرض فرد معين للقيام بهذا العمل الذى يحتاج الى روح عالية ورغبة اكيدة(١) .

٢ ـ سرية التحرك :

وتكتيك الحرب يبدو واضحا فى السرية التامة فى التحركات وخاصة فى العمليات . فاحتلال المسلمين لمواقع المياه تنفيذا لرأى الحباب بن المنذر تم فى منتصف الليل حتى لا يشعر بهم العدو ، والرسول كان يأمر جنده بأن يظلوا فى أماكنهم لا يتحركون أو يتحدثون أو يأتون بما يثير انتباه أعدائهم . وكانوا بذلك يتركون عدوهم يتقدم ويتقدم ، ويظل فى تقدمه حتى اذا أصبح فى مرمى النبال القوها عليه ، فتصيب منه العدد الكبير ، فوق ما تحدثه المفاجأة فى نفسه فيرتبك ويضطرب وتكثر اصاباته ، ويزيد عدد قتلاه(٢) .

---

(١) الادارة العامة للدعوة « الدين والحياة » ع ٩٩ ص ٣٣ وزارة الأوقاف ص ١٣٧ بتصرف . القاهرة .
(٢) محمد فرج « العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول » ص ١٢٥ ـ المصرية .

٣ — رفع الروح المعنوية :

والقوة المعنوية للمحاربين هامة جدا ، والقوة المعنوية هى العامل الاساسى الذى دفع بالمسلمين الى النصر رغم قلة عددهم وكثرة عدوهم .

٤ — الشـــورى :

والشورى مبدا من المبادىء الاســـلامية الهامة ، اهتم به الاسلام وحرص عليه ، واكده ، ودعا اليه ، واوجب على المسلمين العمل به ، بحيث انهم لا يقدمون على أمره ، ولا يعملون عملا الا بعد التشاور فيما بينهم . فان فى ذلك الفة للجماعة وسببا الى الصواب ، واستخراجا للوجه الصالح الذى تستلزم به الجماعة ، فتهتدى الى الحق ، وتحقق لنفسها العزة والتقدم . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (ما تشـــاور قـــوم قط بينهم الا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم)(١) . والقائد الحـــكيم هو الذى يستشير جنده وخبراءه ليعرف منهم الخطة السليمة الصحيحة التى تؤدى الى النصر .

٥ — القضاء على اقتصاد العدو :

ولا شك ان القضاء على قوة العدو الاقتصادية قضاء على القوة العسكرية . ولقد ادرك الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد عن الحسن .

واهتم به اذ يثبت هذا الاهتمام من الغزوات الأولى والسرايا التى بعث بها الرسول قبل معركة بدر فقد كان من الأهداف القضاء على تجارة قريش ، وتهديد القوافل .

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يستعمل الأسلوب العلمى وهو فى قلة من اصحابه فقط وانما استعمله أيضا فى كثرة ومنعة من اصحابه . ولقد ظهر هذا واضحا حينما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام تجهيز الحملة الى مكة ، وقرر ان توضع خطة الاستيلاء عليها على اساس عدم اراقة دماء ، ولهذا اعتمدت الخطة على المفاجأة اى مباغتة القوم فلا يجدون لهم دفعا فيسلمون دون اراقة الدماء . وبلغ حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على اخفاء تحركاته الى مكة انه دعا الله عز وجل ان يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى لا تعرف شيئا من تحركه . (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها) كما أمر الرسول بحراسة الطريق الى مكة ، والتحفظ على كل من يستراب فيه . . وان الأسلوب العلمى فى غزوة الفتح يقدم للتاريخ العسكرى والعسكريين دروسا هامة ، نذكر منها ما يأتى :

١ ــ ان الرسول عليه الصلاة والسلام رأى ان فى ذلك المد تعطيلا للغرض الرئيسى الذى يهدف اليه ، ولهذا رفض الرسول دعوة ابى سفيان بمد مدة العقد او العهد . ومن ذلك ايضا ان الرسول عليه الصلاة والسلام قرر عند وضع خطته ان يدخل مكة دون قتال أو اراقة دماء . واصدر اوامره هذه الى قادة الفرق

التي أعدت لدخول مكة . فلما شاهد عليه الصلاة والسلام خالدا وهو يحارب فى الجبهة الجنوبية ، غضب ودعاه الى ايقاف الحرب، حتى اذا علم بما قويل به خالد من المقاومة قال : (ان الخيرة فيما اختاره الله) .

ومن ذلك ايضا : ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يسعى الى نشر الاسلام وقيامه على انقاض الوثنية وعبادة الأصنام، ولهذا فعندما دخل مكة لم ينس الغرض الرئيسى الذى يجاهد من اجله ، ولهذا حطم الاصنام فى الكعبة ، ثم امر بهدم كل صنم فى داخل البيوت **(من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنما الا حطمه)** . ولم ينس الرسول عليه الصلاة والسلام الأصنام التى كانت تعبد خارج مكة فبعث السرايا لهدمها . وللدعوة الى عبادة الله الواحد القهار(١) .

٢ ـ المفاجاة او المباغتة : لوحظ فى هذه الغزوة ان الرسول عليه الصلاة والسلام قرر مباغتة قريش رغبة منه فى عدم اراقة الدماء أو اثارة القتال ، ولهذا فانه دعا الى الاعداد للحملة فى سرية تامة . وذلك بأن دعا الله أن يأخذ العيون والأخبار من قريش ، حتى لا تعرف شيئا عن تحركاته . بأن أصدر اوامره بمراقبة الطرق الى مكة ، والتحفظ على من يشك فيه ضمانا لعدم نقل أو وصول أخبار تجمعاته وتحركاته الى قريش . ولما عرف الرسول عليه

---

(١) الدين والحياة ع ٦٩ ص ٣٨ ط وزارة الأوقاف المصرية .

الصلاة والسلام برسالة حاطب أرسل ثلاثة من رجاله حتى عثروا على الرسالة ، واعادوا المرأة الى المدينة .

ولضمان تحقيق رغبة الرسول فى دخول مكة فجأة وبسرعة وبدون قتال ، حشد الرسول عليه الصلاة والسلام قوات كثيرة ليدخل بها مكة . وكان الرسول يرى فى هذا الحشد الكبير تفتيتا لقوة قريش ، واضعافا لرغبتها فى القتال ان رغبت .

٣ ـ الحرب النفسية : لقد اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام اهتماما بالغا بها . فقد علم اهمية الروح المسيطرة على المحاربين فى الميدان . ولهذا دفع بالعباس رضى الله عنه على بغلته البيضاء ليكون سفيرا له يحمل الى قريش انباء الجيش الكبير القادم اليهـا .

ولما جاء العباس بابى سفيان طلب منه الرسول أن يأخذه الى مكان ضيق فى الجبل ليرى الجيش ، وليعرف قوته ، وليلمس بنفسه ما تجنيه قريش على نفسها . لو انها قررت القتال والمقاومة. وكان للحشد الهائل الذى أعده الرسول صلى الله عليه وسلم أثر كبير فى نفسية أبى سفيان ، حتى انه اعترف بالنبوة واعلن اسلامه. ثم أسرع الى قريش يدعوها الى التسليم(١) .

---

(١) الاستاذ محمد فرج (العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ص ٢١٠ ـ ص ٢٢٤ بتصرف .

فالباحث فى التاريخ الاسلامى يرى أن الاسلام اهتم بالدعوة الى الأسلوب العلمى فى المعارك . لأن ذلك مما يرفع معنويات الجند ، ويزيد من صمودهم . قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنفال . الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة الأنفال . الآيتان ١٥ ، ١٦ .

واذا كان الثبات والصبر من أهم عوامل النصر ، فان من الزم لوازم ذلك حرص افراد الجيش على تنفيــذ ما يوكل اليهم بمنتهى النظام والدقة والتعاون حتى يبــدو الجيش كله بنيــان مرصوص قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ ﴾ (١)

ومن اهم خصائص المؤمن الحذر والتحفظ والحيطة . لأن هذه الخصائص فى الواقع اعتراف من الانســان بسنة الحياة ، واحترام منه لنظام الأسباب والمسببات الذى خلقه الله . قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ۝٧١ ﴾ (٢)

فالحذر المقصود هو الحذر النافع الذى يحمى الانسان من الأضرار حتى يصل الى اغراضه المشروعة التى تخدم أمته ودينه

---

(١) سورة الصف . الآية ٤

(٢) سورة النساء . الآية ٧١ .

ووطنه .. وأنه لأمر طبيعى أن يحذر الله سبحانه وتعالى أهل الايمان من الأسباب الضارة من ضعف أو غفلة ، أو غرور أو غير ذلك . ومن اخطر أسباب الهزيمة التى يحذر القرآن المسلمين منها أمران :

الأمر الاول :

أن تصاب الأمم والجماعات الانسانية بخلل فى تقييم الامور ووزنها ، حيث تقدم المصالح الشخصية والرغبات الدنيوية على حب التضحية بهذه المصالح من أجل حق زائل ، على الجهاد فى سبيل الله ، فى معركة الصراع بين الحق والباطل . والى هـذا المعنى يشير القرآن الكريم فى صراحة وحسم فيقول تعالى :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة التوبة . الآية ٢٤ .

والأمر الثانى :

وهو من أخطر أسباب الضعف أن ينصرف المسلم عن الارتباط بأمته الاسلامية فى مقاصدها وأهدافها ووسائلها . وقد يصل الخطر الى حد الافتتان بأعداء الاسلام من أهل البغى والطغيان . وقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذا السلوك الضار تحذيرا شديدا قال تعالى :

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)

وهكذا تبلغ درجة التحذير ان تتداخل تحذيرات متعــددة بعضها مع بعض فى آية واحدة . مما يدل دلالة صريحة على خطورة هذا العمل فى الحاق الأذى والضرر بالأمة الاسلامية .



(١) سورة آل عمران . الآية رقم ٢٨ .

المسلمون والحضارة

لم يخلق الله ، سبحانه وتعالى ، الانســان ، فى هــذا الكون .. ليعبث او يلهو أو يلعب .. او ليطغى بقوته وجبروته ، أو ليعيش فى احضـان الجهل والاتكالية والاستجداء .

قال تعالى فى سورة المؤمنون :

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون »(١) .

وقال تعالى فى سورة الملك :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور »(٢) .

وانما خلق الله سبحانه وتعالى ، الانسان وركب فيه ما ركب، من قوى الادراك والعمل لحكم سامية .. منها : ليكون خليفة فى الأرض يعمل على اصلاحها واتساع عمرانها واظهار أسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أواصر الخير ، واقرار السعادة ، فى جميع أرجائهــا .

---

(١) سورة المؤمنون . الآية رقم ١١٥ .
(٢) سورة الملك . الآيتان ١ ، ٢ .

وقد أرشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن الكريم .. منها قوله تعالى ، فى سورة البقرة ، وهو يحدث عن مبدأ خلق الانســــان :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة . الاية ٣٠ — ٣٣ .

فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة ، وسر النجاح ، فالخلافة فى الأرض والسيطرة عليها ، وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها ، وثمراتها وطيباتها أساس ذلك كله العلم لا غيره .

واذا كانت هذه هى مهمة الانسان فى الحياة ، وهى حكمة خلقه ، وحكمة الانعام عليه ، بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير الكون واخضاعه له فى التفكير والتصريف .

فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة ، وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة والعمل .

ولم يكتف الاســـلام بهذا .. بل فتح مجال العلم ، للعقل الانسانى ، وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى أسرار الحياة. قال تعالى فى سورة عبس :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة عبس . الآيات ٢٤ — ٣٢ .

وقال تعالى : فى سورة الطارق :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦
يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (١)

وقال تعالى فى سورة الحجر .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢ ﴾ (٢)

هذه الآيات وما جرى مجراها ، قد فتحت للعقل الانسانى ، آفاق السكون وبينت له طريق التأمل والمشاهدة والتفكير ، فى ملكوت السموات والارض ، لاستنباط الحقائق وما يفيد المجتمع الانسانى ويعود عليه بالنفع والأمن .. وتلك دعوة صريحة الى العلم حظيت بها الانسانية ،منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، دعوة صريحة صادقة الى اتباع الأسلوب العلمى والمنهج القائم على التكامل والصدق والاخلاص .

---

(١) سورة الطارق . الآيات ٥ — ٧ .
(٢) سورة الحجر . الآية رقم ٢٢ .

والاسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة . وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر اشعاع القرآن الكريم ، فى جنبات الدنيا والانسانية فأنارهما بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتتاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر .

وكان من ذلك أن نبه على وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية وفى الأسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول .

فكان بهذا مصباحا أضاء الدنيا وأنار أفق الانسانية ، وأشرق بالمعرفة الصحيحة .

والباحث المنصف يرى أن الاسلام فى وثبته : تلك ، قد وضع أسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير .

والمعرفة فى الاسلام ، لا تقوم على نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل وانما على أساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين المادة والروح ، وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخرة .. فلا افراط ولا تفريط ، لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم والوجدان النقى ، وكل ما جاء فى القرآن الكريم فى الحث على التفكر ، دليل على مكانة العقل ، والعلم ، والمعرفة فى نظر الاسلام . اذ العقل آلة التفكير ، والعلم ثمرة التفكير . فكل ما ورد فى القرآن ، حث على التفكير ، وهو اعلان عن فضل العقل ،

وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم .. حتى يتمكن الانسان من الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الأوهام ، والخرافات والأساطير التى لا صلة لها بواقع الحياة .

وبهذا كان الاسلام دين الفكر ، والعقل ، والعلم .. وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير وجعله ميزة الانسان .

قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (1)

وبناء على التوجيهات القرآنية ، للناس بالنظر والدراسة .. انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ويقارنون ، ويغربلون ، ويقعدون القواعد ، ويؤصلون الأصول .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية ، على أصول ومبادىء عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة . واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين ، من الاستفادة من تلك الدرة الالهية ، التى

---

(1) سورة الحج . الآية رقم ٤٦ .

منحها الله للانسان ، وهى العقل ، فنمته ، وجعلته يمارس الوظيفة الاساسية التى خلق من اجلها . حتى كانت للمسلمين حضـــارة وعلوم ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها فى تحويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانسانية دور المسلمين فى بنـــاء الحضارة بأصالة وعمق وفاعلية .

كانت هناك تشريعات ، وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك، وأدب ، واجتماع ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون جميلة، وآداب للسلوك والاجتماع .

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات ، اساتذة عباقرة ، كائمة الحديث ، ورجال الفقه الذين ضبطوا اساليب النقد ، وقعدوا قواعـــد التشريع .. وفوق هذا وذاك .. فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمى التجريبى الذى كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ، ويكفى فى هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) :

« ان الاوربيين درسوا عن العرب طـــرق البحث العلمى التجريبى وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصيلة ، واستقرت دعائمها فى نفوسهم فكانت الرائد الأمين للعقول والافهام ، والغذاء الروحى للغرائز والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرهت اليهم التقليد والتبعية

العمياء ، ووجهت العقول للبحث والانتاج .. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فاقبلوا عليها سراعا .. ودخلوها من كل باب. وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون فى سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . ان ينتقلوا الى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا وعباقرة العلوم .. وكان وأصبح هناك قادة وحكام ، ومدن وعواصم ومعاهد وجامعات ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلا .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التى غرسها الاسلام ، والتى ادت الى تنمية القوى العقلية الكامنة فى الانسان ، والتى جعلت من المسلمين اساتذة للعلوم وكانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فياخذون عن علمائها ما شاءوا من افانين العلوم . والوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هذه العلوم التى نفخت فيهم روح الحياة ، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من اصول الاصلاح الاسلامى . وهما :

حرية الفكر .. واستقلال الارادة .. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل .. الا بعد أن عرفت أن لها حقا فى طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية .. فاستقت من روافدها المعرفة ، والفلك والجبر والهندسة ، والكيمياء ،

والطب ، والفلسفة ، وعلوم النبات ، والحيوان وسائر انواع الفنون الحضارية .

وبنى رجال اوربا ، بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالاندلس، وربما نقلوه من علوم .. اسس النهضة الحديثة ، التى ظهر نجمها فى القرن الثامن عشر . وازدهر فى القرن التاسع عشر وتألق فى القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذى خرج جهابذة الفكر ، ورجال الحضارة امثال ابن الهيثم ، وابن البيطار ، وابن سينا ، وابن النفيس ، وابن زهر وابن بطوطه والكندى ، والفارابى ، والبيرونى ، والطوسى ، والدينورى ، والبغدادى ، والفيروزابادى، والامام الغزالى ، والطبرى والرازى ، والانطاكى ، والخوارزمى، والادريسى ، والمسعودى ، وجابر والجاحظ ، وغيرهم ممن افادوا الانسانية .

وهذا ابن الهيثم يبحث فى السهل والأودية ، ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلى يسهر على قمم الجبال العالية ، يحدق فى الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ، ويعرف ابعادها ، ويقيس محيط الكرة الارضية ، وعبد الله الخوارزمى العالم المسلم الذى ولد فى اقليم خوارزم(١) أول رجل فى العالم يضع اصول علم الجبر

---

(١) اقليم خوارزم هذا من الاقاليم الاسلامية التى كانت عامرة بالعلم والعلماء وهو الآن تحت الاستعمار الشيوعى الروسى .

وفى كتابه « الجبر والمقابلة » يقسم العلماء الى ثلاثة : « فمنهم المخترع المبتكر الذى يسبق اليه ، ومنهم الذى يتناول آراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم المخترع المبتكر الذى لم يسبق اليه ، ومنهم الذى لم يكلف نفسه أكثر من جمع المتفرق » .

وأبو الريحان محمد البيرونى الذى ولد فى بيرون ، وهى مدينة صغيرة تتبع مدينة خوارزم ، يســاهم فى الفلك والرياضيات ، بمساهمات فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقى ، يجرى التجارب والاختبارات، حتى يثبت أن الدم ليس سائلا مستقرا فى الأوردة والشرايين ، بل هو سائل متحرك يدور فى جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل أن يكتشف العالم البرتغالى (هارفى) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مســكويه ذلك المفكر الاســلامى الكبير الذى طرق الدراسات الأخلاقية والنفسية يسبق فلاســفة أوربا ، وعلمائها بثمانية قرون فى علوم الأخلاق والفلسفة والتهذيب والنفس .

وجابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة ، وتفاعل المــواد المختلطة ، حتى يضع أصول علم الكيماء .

وابن يونس يسبق العلماء فى اختراع بنــدول الســاعة (الرقاص) .

هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوربا ، تعيش فى ظلمات الجهل والفوضوية والأمية والهمجية والتأخر ، ولم ينقذ أوربا من ورطتها التى كانت واقعة فيها الا حضارة المسلمين ولازالت أسماء العلوم والمصطلحات التى أعطاها هـؤلاء المسلمون ، لغرائب المخترعات مازالت حية نابضـة ، فى جميع اللغات ، رغم ما نالها من تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة الاسلامية ، وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم فى ذاته .

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة : « ان اوربا تدين للعرب ، وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات ، للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة ، دريبر « المدرس فى جامعة (هارفارد) بأمريكا. فى كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : (ان نتائج هذه الحركة العلمية ، تظهر جليا بالتقدم البـاهر الذى نالته الصـناعات فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعـة فى أسـاليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ، وسنن النظم الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الأرز وقصب السكر والبن .. وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصـوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المـادن ، ويجودون فى عملهـا على ما حسنوه وهذبوه ، من سبكها وصنعها ، واننا لندهش حين نرى

فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .. وان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ان هذه الاقوال التى جاءت على لسان علماء افذاذ لمرضاة العلم فى ذاته تشهد صراحة وضمنا ، وجملة وتفصيلا ، لحضــــارة المسلمين ، ومدى فاعلية هذه الحضارة الاسلامية الانسانية .

وان الأمة الاسلامية يمكن ان تعود الى بناء حضارتها المتميزة وشخصيتها الاسلامية الفريدة .



بين الفلسفة والإسلام

المعرفة :

ادراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره .. والمعرفة أخص من العلم، ويقال فلان يعرف الله .. ولا يقال يعلم الله ، متعديا الى مفعول واحد .

وعرفه يعرفه معرفة وعرفانا ، فهو عارف .. والعلم والمعرفة ، يفرق بينهما من جهة اللفظ ، ومن جهة المعنى .

أما اللفظ : ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد . قال تعالى : ((**فعرفهم وهم له منكرون(١)**)) .. وفعل العلم يقتضى مفعولين كقوله تعالى : ((**فان علمتموهن مؤمنات(٢)**)) واذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقوله تعالى : ((**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم(٣)**)) .

واما الفرق من جهة المعنى فمن وجوه :

أحدها : ان المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق بأحوال الشيء ، فتقول : عرفت أباك وعلمته صالحا ، ولذلك جاء

(١) سورة يوسف الآية رقم ٥٨ .
(٢) سورة الممتحنة الآية رقم ١٠ .
(٣) سورة الانفال الآية رقم ٦٠ .

الامر فى القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة كقوله تعالى : « **فاعلم انه لا اله الا الله(١)** » فالمعرفة : تصـــور صورة الشيء ، والعلم حضور احوال الشيء وصفاته ، والمعرفة نسبة التصور ، والعلم نسبة التصديق .

ثانيها : ان المعرفة فى الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ، فاذا ادركه قيل عرفه ، أو تكون وصف له بصفات قامت فى نفسه ، فاذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل : عرفه . قال تعالى: « **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون(٢)** » .. فالمعرفة نسبة الذكر فى النفس ، وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر . ولهذا كان ضدها الانكار ، وضد العلم الجهل .. قال تعالى : « **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها(٣)** » .

ويقال عرف الحق فاقر به ، وعرفه فانكره .

ثالثها : ان المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره ، والعلم يفيد تميز ما يوصف به عن غيره .

رابعها : انك اذا قلت علمت محمدا لم تفد المخاطب شيئا ، لأنه ينتظر ان تخبره على اى حال علمته .. فاذا قلت كريما أو شجاعا ، حصلت له الفائدة .. واذا قلت عرفت محمدا ، استفاد المخاطب انك اثبته وميزته عن غيره ، ولم يبق ان ينتظر شيئا آخر.

---

(١) سورة محمد الآية رقم ١٩ .
(٢) سورة يوسف الآية رقم ٥٨ .
(٣) سورة النحل الآية رقم ٨٣ .

خامسها : ان المعرفة علم يعين الشيء منفصلا عما سواه ، بخلاف العلم فانه يتعلق بالشيء مجملا .. والفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين ان المعرفة هي العلم الذى يقوم العالم بموجبه ومقتضاه فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده(1) . ولكن اذا كانت المعرفة لها كل هذا ، فهل هي فطرية ؟ أم مكتسبة ؟ أم مزيج ؟ ..

فى هذا تحصل للدارسين والباحثين ثلاثة اراء ، ولكل راى من الادلة والبراهين ما ينهض مدعما له :

أولا : يقرر كثير من رجال الفكر الفلسفى ان المعرفة الانسانية جميعها مكتسبة وان طريق اكتسابها الحواس .

ويرى الفلاسفة : اننا ندرك الاشياء عن طريق الحواس ، فالشخص الذى يولد أصم لا يمكن أن يعرف الأصوات وهى موضوع السمع .

وكذلك الشخص الذى يولد اعمى لا يمكن ان يعرف الالوان. فنحن ندرك الاشياء الخارجية عن طريق الحواس : البصر أو السمع او اللمس او الشم .

---

(1) راجع بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى .. الجزء الرابع ص ٤٧ طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة . وانظر مقالنا « المعرفة فى ظل الاسلام » فى مجلة قافلة الزيت ع ١١ ص ٢ مجلد ٢٠ السعودية ١٣٩٢ هـ .

وبمعنى آخر :

ان الأجسام الخارجية هى مجموعة من الاحساسات .

او بمعنى ثالث :

نحن لا ندرك الاشياء الخارجية ، وانما ندرك أنفسنا ، لأننا لا يمكن أن نعرف الشىء الخارجى كهذا الكتاب الا عن طريق هذه النوافذ التى تطل منها على العالم الخارجى .

ومن طريق هذه الاحساسات التى تتجمع وتنتظم بعد نفاذها من هذه النوافذ « الحواس » نعرف الاشياء .. فانا لا أعرف الكتاب ، وانما اعرف الاحساسات الموجودة فى عقلى عن هذا الكتاب .

معنى ذلك :

ان هناك عقلا يتلقى هذه الاحساسات ، وان العقل كالصفحة البيضاء يتلقى الاحساسات فتكون المعرفة .

ثانيها : وقالت فئة اخرى : ان المعرفة فطرية بمعنى أن الانسان يولد ونفسه عالمة بكل شىء ، لأن النفس قبل اتصالها بالبدن كانت تعيش فى عالم المثل فاطلعت على كل شىء وعرفت كل شىء ، ولما اتصلت بالجسد نسيت ... وبمعنى آخر أن الانسان يولد ونفسه قد فطرت على معرفة الأشياء .. فاذا عرفت النفس شيئا ، أو ادرك الانسان شيئا ، فانه فى الواقع لا يدرك شيئا جديدا ، ولا يكتسب معرفة جديدة ، ولكنه يتذكر ما كان يعرفه

فى عالم المثل .. وهذا تفسير قول (افلاطون) : « العلم تذكر ، والجهل نسيان » ولعل بعض الآراء فى التصوف تنحو هذا النحو ، وتزعم امكان المعرفة بغير الحواس(1) .

ثالثا : ويذهب آخرون الى ان العقل البشرى بطبيعته يحتوى على جزء من المعرفة الفطرية ، يضاف اليها جزء آخر مكتسب .

واختلف العلماء فى هذا الجزء الفطرى .. فقال بعضهم : ان المعرفة البديهية ، هى المعرفة الفطرية مثل : الكل اعظم من الجزء .. ويذهب « كانت » الفيلسوف الألمانى الى ان العقل البشرى حين يكتسب المعرفة المحسوسة للأشياء الخارجية يضيف اليها شيئا من جوهره وطبيعته ، ويصوغ المعرفة للمحسوسات الخارجية فى قالبين :

القالب الأول : المكان .

والقالب الثانى : الزمان .

وكان الفيلسوف « كانت » يريد ان يقول : ان المكان والزمان لا يتعلقان بالأشياء الخارجية فحسب ، بل هما انسانيان ، فمن طبيعة العقل وجود هاتين الصورتين وبخاصة صورة المكان وصورة الزمان ، اللتان لا نستطيع أن ندرك الأشياء المحسوسة الا داخلة فيهما .

---

(1) معانى الفلسفة للدكتور احمد فؤاد الاهوانى ص ٨٨ الطبعة الأولى — القاهرة .

والرأى الذى يذهب اليه علماء الطبيعــة ، وخصوصا الذين يأخذون بنظرية « **اينشتاين** » وهى احدث النظريات فى تفسير الكون يتضمن ان المعرفة الموجودة فى عقولنا لا تنفصل عن جملة الحضارة أو الثقافة السائدة فى العصر الذى يعيش فيه صــاحب المعرفة . واننا نرى أن اذكياء الباحثين قد اجمعوا على أن الثقــافة البشرية سلسلة متماسكة الحلقات ، تؤثر سوابقها فى لواحقها ، على صورة قد تكون واضحة ، وقد تكون غامضة .. وجوهر المعرفة موجود وجودا محققا ولكن نعت المعرفة من قلة او كثرة أو نسبية او اطلاق، او فطرية أو اكتسابية .. هو الذى اختلف فيه الفلاسفة منذ اقدم عصور الفلسفة الانسانية .. فهى تارة نسبية .. واخرى مطلقة.. وثالثة فطرية كلها .. ورابعة مكتسبة كلها ترتكز على التجارب .

وكذلك تعيين القوة العارفة وتحديد مدى اختصاصها ، فمرة هى الحواس وحدها كما عند « **هيراقليطس** » واخرى هى الحواس مع العقل كما يرى « **ارســطو** » وثالثة هى البصــيرة كما يرى « افلاطون » ورابعة هى العقل وحده كما يرى « **ديكارت** » .

ويعنينا أن نعرف ان المعارف الانسانية تنقسم الى قسمين :

القسم الأول :

ان المعارف الانســانية وهى عبارة عن مجموعة المشــاعر والاحساسات المادية المتحصلة للانسان بواسطة بعض اجزاء بدنه.. وهى تمتاز بانها بسيطة ساذجة خالية من الدقة والتعمق .. ويصفها الفيلسوف « **هيراقليطس** » بأنها اشبه بماء يسيل بين شطئان غير

محدودة سيرا غير محدود المصير .. ونحن مدينون بهذه المعـــارف للحواس التى نستعين فى توصيلها الينا بالزمان والمكان .

ولكن ليس هذا هو كل شىء .. بل ان الحواس تعانى فى نقل تلك المعارف عمليتين لابد منهما لحصولها لدينا وهما :

اولا : ارتسام تلك الاشياء المادية المراد نقلها .

ثانيا : نقل تلك الرسوم الى مكانها الطبيعى من النفس البشرية. فالمعرفة العامية لها بالضرورة درجتان :

الدرجة الأولى :

المعرفة الاحساسية البحتة ، وهى لا علاقة لهـــا بذكريات الماضى ، ولا بأخبار المستقبل .

الدرجة الثانية :

هى ما تشترك النفس فى عمليته ، وهو منظم ثابت ، يتناول ماضى الحياة وحاضرها ، ومستقبلها .

القسم الثانى :

المعرفة العلمية : وهى التى يعول عليها فى الحياة الانسانية ، ويعتمد عليها الانسـان فى الوصول الى ما قدر له .

وأظهر الفروق بين المعرفة العامية ، والمعرفة العلمية هى :

* أن المعرفة العامية مقصورة على النواحى المادية والاجتماعية

فى الحياة ، بينما المعرفة الفلسفية تتناول فوق هذا تدبر أسرار الكون والوجود .

* ان المعرفة العامية موجودة لدى جميع افراد بنى الانسان، على حين ان المعرفة الفلسفية مقصورة على اصحاب العقول المفكرة.

* ان المعرفة العامية فطرية توجد لدى كل من توفر فيه القدر المحقق للانسانية من العقل ، ولكن المعرفة الفلسفية مكتسبة بالمران والتطبيق الدقيق .

* ان المعرفة العامية معرضة للتأثر بالغريزة او بالعاطفة ، فى حين ان المعرفة الفلسفية خليقة بأن تكون بعيدة من اثر هذين الباعثين(1) .

فالمعرفة تشمل محيطات واسعة تبدأ بالمعرفة العامية التى يشترك فيها جميع افراد النوع البشرى .. ثم تصعد الى درجة التجارب الحسية على ايدى الطبيعيين او الكيميائيين .. ثم تستمر فى صعودها الى درجة النظر العقلى عند الرياضيين والفلاسفة ، لكى تنتهى عند مرتبة التجارب التنكسية .

ومن هذا يتبين أن المعرفة تتطلب جهودا ضخمة ، للاحاطة الشاملة التى تتضمن القدرة على منح كل غصن من اغصان دوحتها

---

(1) المعرفة عند مفكرى المسلمين للدكتور محمد غلاب ص ٢١ ، ٢٢٥ طبع الدار المصرية للنشر .

المترامية الأطراف ، الطابع الذى يميزه عن غيره . واذا اردنا ان نتبين المعرفة فى الاسلام ، فيجدر ان نشير الى نظريات المعرفة فى أكثر الآراء الفلسفية مع ابعاد الآراء المتطرفة التى ابتدعها المنحرفون، وسنكتفى بالآراء التى تتمتع بالسيادة الفكرية ، وتعتمد على ادلة فوق مالها من رجال ومؤيدين .

الرأى التجريبى :

ورجال هذا الرأى يقولون : ان المعارف مهما بلغت من التجريد والاستقلال عن الأمور الحسية ، فلا يمكن القول بأنها أمور مركزة فى الفطرة ، بل هى كغيرها يكتسبها الانسان عن طريق الملاحظة والتجربة .

ويفسر التجريبيون نشأة العلوم الرياضية ، بأن الانسان قد اتجه منذ القدم الى الظواهر الحسية ، فقاس الأبعاد والحصى والسطوح والأشكال ، واستخدم بعض الوسائل الحسية كالأصابع والحصى فى التعبير عن الاعداد ، ثم استطاع آخر الامر ان يجرد المعانى الرياضية من ملابساتها الحسية ، فاهتدى الى الخط المستقيم والخطوط المتوازنة والمربع والدائرة وغير ذلك من الأشكال الهندسية(١) .

---

(١) محاضرات فى مناهج البحث للشيخ محمد خليل هراس ص ١٣ دار الطباعة المحمدية .

وطريق المعرفة فى المذهب التجريبى هو : الخبرة الحسية واذا أغلقت الحواس ابوابها انعدمت المعرفة ، فلن تنشأ فى العقل افكاره، الا اذا سبقتها مؤثرات حسية(١) .

الراى العقلى :

« ورجال هذا الراى » يرون ان العقل وحده كاف فى الوصول الى المعارف وادراك مفاهيمها . وليس الانسان بحاجة الى أن يرجع الى الطبيعة لكى توحى اليه بفكره « الكم المتصل » او « الكم المنفصل » أو ترشده الى التعاريف الرياضية .. بل ان المعانى توجد فى العقل بصفة فطرية وليست مكتسبة بالتجربة .. والأمور الظاهرية هى عوامل ثانوية تحفز العقل على الابتكار والابداع والايجاد .

وطريق المعرفة فى الراى العقلى لا يرتكز على الحواس وحدها لانها تخطىء وتصيب ، ولهذا لا تصلح أساسا للمعرفة . وانما أساس المعرفة هو العقل الذى يدرك ادراكا مباشرا والعقل الذى يشك ويفهم يدرك ويثبت ويريد ويشعر ـ كما يقرر « ديكارت » وهو صاحب الراى العقلى فى الفلسفة الحديثة .

والعقليون لا يرفضون ما تجىء به الحواس ، ولكنهم لا يعتمدون عليها اعتمادا كليا ولا يقطعون فى الأخذ بها .

---

(١) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى للأزهر ص ٩٠ مطبعة الأزهر ١٩٦٠ م

الراى النقــدى :

ويطلق الباحثون على رجال هذا الراى « الموفقين » ويرى هؤلاء : انه لا تعارض بين المذهب التجريبى والراى العقلى بل انه من الممكن الجمع بينهما ، وان كلا من العقليين والتجريبيين قد ادرك وجهى الحقيقة ، وغفل عن وجهها الاخر ، فتعصب لرايه ، وغلا فى الانتصار له .. والحقيقة انما تتم بالعقل والتجربة ، فكلاهما متمم للاخر . فليست المعانى فطرية فى النفس كما يزعم العقليون ، وليس العقل وحده كافيا فى كشف المعارف . كما أن الملاحظات والتجــارب لا يمكن ان تكون هى المنبـــع الوحيد للمعــرفة أو هى العمدة فى ادراكها .

فالراى النقدى يجمع بين الراى التجريبى والراى العقلى . وقد راى (كانت) هذا الراى مقررا ان المعــرفة لا تتم الا بالخبرة الحسية والمبادىء العقلية معا ولا شك عند (كانت) فى ان جانبــا منها ياتى من الخارج ، وهو جانب الحســية التى تتثبت من الاشياء وحينما يتلقى العقل ذلك ، ينظمه فى حدوده .. ومن ثم يكون جزء من المعرفة معتمدا فى مضمونه على خبره الحواس وفى قالبه على فطرة العقل فى طريقة الادراك . وهكذا يكون كل جزء من المعرفة حسيا وعقليا فى آن واحد معا(1) .

---

(1) راجع مقالنا فى مجلة (قافلة الزيت) عــدد ذو القعدة ١٣٩٢هـ ص ٣ الظهرات السعودية وكتاب (المعرفه فى ظل الاسلام) ص ٢٩ .

الراى الصــــوفى :

اذا كانت وســـــيلة المعرفة عند التجـــريبيين هى الحواس ، ووسيلتها عند العقليين هى العقل ، ووسيلتها عند النقديين هى الحواس والعقل معا . فان وسيلة المعرفة عند الصوفيين والنسكيين تختلف عن الآراء والمذهب السابقة لان هؤلاء يرون ان العلم اليقين انما يجىء عن طريق الحدس .

والحدس : هو الادراك العقلى المباشر الذى يدرك به العقــــل الحقائق ادراكا ، وتزعن له النفس اذعانا ، وتوقن به ايقانا لا سبيل الى دفعه(١) .

والحدس اذن كشف عقلى بلغ من الظهور والوضوح ان زال معه كل شك وبلغ من السرعة والبساطة ان يتم دفعه لأعلى التعاقب والحدس عند الصوفيين ينهض على صفاء القلب ، ومجاهدة النفس حتى تصل الى مرتبة الصفاء تتيح لها من المعارف ما لا تصـــــل اليه الحواس والعقول معا(٢) .

الراى العملى ــ (البراجماتزم) :

وهذا يخالف الراى الصوفى كما لا يرضى لاى راى او مذهب وفلسفة البراجماتزم فلسفة تقدم العمل ثم تستخلص منه المعرفة ومن هنا اجاز هذا الراى جميع الظواهر(٣) .

---

(١) محاضرات فى الفلسفة للدكتور سليمان دنيا « مذكرات » .
(٢) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى بالازهر ص ٩٠ سنة ١٩٦٠م
(٣) فصول فى الفلسفة للفيلسوف جود ترجمة ماهر كامل ص ٢٥٨ .

والبراجماتية : اصطلاح فلسفى يطلق على المذهب القائل بأن الحقيقة فى صميم التجربة الانسانية ، وان المعرفة آلة او وظيفة فى خدمة مطالب الحياة ، وان صدق قضية ما هو فى كونها مفيدة ، وأن الفكر فى طبيعته غائى (اى له غاية) ويعنى هذا أن التاريخ البرجماتى معناه : الكشف بالاستناد الى معرفة الماضى وكلمة براجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعان مختلفة الا انها تعرف الآن مقترنة باسم الفيلسوف الأمريكى « **تشارلس ساندرزبيرس** » رائد أسس المذهب البراجماتى[1] والمعرفة فى حقيقتها ليست مجرد العلم بالواقع كما هو ، بل هى اداة السلوك العملى الذى يأتى النفع[2] .

وتلك أهم مذاهب المعرفة التى اهتدى اليها علماء وفلاسفة الغرب ، وبعض الصوفيين والمتنكسين . وقد تفرعت عن هذه المذاهب نظريات فكرية عديدة وراح كل فريق يغالى فى التأييد لرأيه ومذهبه حتى أصبح لا يرى الحقيقة الا فيه .

والنظريات والآراء التى ذهب اليها التجريبيون والعقليون والنقديون والمتنسكون والبراجماتيون وغيرهم، هى من وضع ناس فكروا وبحثوا واصلوا الأصول ، وقعدوا القواعد فوصلو الى ما هداهم اليه البحث والفكر والنظر والعقل .

اما الاسلام فغير هذا كله ، لأن الاسلام من عند الله ، الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وما كان من عند الله كان اتم واكمل .

---

(١) دائرة معارف مجلة الفيصل ص ١٥٣ عدد رقم ٢٠ السعودية .
(٢) مجلة الهادى المجلد الأول العدد الأول ص ٢٩ (قم ايران) .

والباحث يرى ان الاسلام وثب بالمسلمين وثبتين هائلتين :

الوثبة الأولى :

كانت على اثر اشــــعاع القرآن الكريم فى جنبـــات الدنيـــا والانســانية فأنارها بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق اذهان ابنائها بعد ارتتاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر .. وكان من ذلك أن نبه الى وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية ، وفى الأسباب والمسببات ، فكان بهذا مصباحا انار الدنيا ، واضاء افق الانسانية واشرق بالمعرفة الصحيحة .

الوثبة الثانية :

كانت بعد نقل الحكمة والعـــلوم الى اللغـــة العربية ، وبهذا تفتحت العقول الى الوان مختلفة من الثقافات والمعارف .

والباحث المنصف يرى ان الاسلام فى وثبتيهالأولى والثانية قد وضع اسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير وتحيط بجميع الجوانب ، وتستوعب الطرق كلها ، وتجعل منها كلا متكاملا غير قابل للتمزق والشـتات .

وتقوم المعرفة فى الاسلام لا على اساس نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل وانما على أساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين

المادة والروح ، وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخـرة ، فلا افراط ولا تفريط ، طبقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١)

لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم أو الوجدان النقى السليم . فالاسلام يدعو الى استعمال الحواس ، وبخاصة حاستى السمع والبصر . قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة الانعام الآية رقم ١٥٣ .
(٢) سورة ق الآية من ٦ — ٨ .

وقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (١)

وقال تعالى

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (٢)

الى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تدعو الى التدبر والتبصر والتفكر ، والتأمل والنظر ، واستعمال الملكات العقلية . قال تعالى:

« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٣) .

---

(١) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ .
(٣) سورة الاسراء الآية رقم ٣٦ .

والحواس وحدها قد لا تغنى فى أمور كثيرة ، ولهذا نستعين بالبصيرة الملهمة ، والعقل الراجح النفاذ « **فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** »(١) .. أما طريق الحدس الوجدانى الذى يصل اليه الانسان بمجاهدة النفس وتقوى الله ، فقد أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا »(٢) .

وفى قوله تعالى :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »(٣) .

وفى قوله تعالى :

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »(٤) .

فالاسلام الحنيف قد جمع بين جميع المواهب والملكات ، سواء منها الحسية او المعنوية ، المنطقية او الروحية ، ليصل الانسان الى الكمال المنشود فى ظلال تعاليم القرآن الكريم التى جاءت لترشد الانسان الى مافيه السمو بالفكر والعقل .

---

(١) سورة الحج الآية رقم ٤٦ .
(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٢٩ .
(٣) سورة الطلاق الآية رقم ٢ ، ٣ .
(٤) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٩ .

وقد سجل القرآن الكريم طرقا شتى يكشف الحقيقة ليتخذ كل فرد من بنى الانسان الطريق الذى يلتئم مع مستواه ، ويتسق مع عقليته .. والطرق التى جاء بها الاسلام تتطابق مع مراتب الانسانية ودرجاتها ، وتتجارب مع حاجاتها ورغباتها .

الطريق الاول — (طريق النظر والتأمل فى السموات والارض) :

ولهذا الطريق مرحلتان : أرضية وسماوية والمرحلة الأرضية ألصق المراحل بالأرض ، وهى تخاطب عامة النـــاس بما يبدو فى أيديهم من مرئيات ، ثم توجههم الى استنباط ما هو بعيد عنهم لعلهم يهتدون .

قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ (١)

والمرحلة السماوية اســـتطاعت أن تظفر بحظ من تطـــور الانسانية ورقى العقلية . وهذا دليل على أن الانسانية قد ارتقت بعض الشىء وأصبحت جديرة بالنظر الى الســماء ثم النظر فى السماء . قال تعالى :

---

(١) سورة الغاشية الآية من ١٧ — ٢٠ .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟

إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن

فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ

وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ

عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

فالآية الكريمة : ((**افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت**)) مليئة بالرحمة فائضة بالاشفاق على اولئك الناس ، ومن ثم تتواضع فتنزل الى مستوى الناس الفكرى وتجاربهم حتى يتمكنوا من المعرفة .

أما الآية الكريمة : ((**افلم ينظروا الى السماء فوقهم ..**)) فتفيد ان فريقا من الناس قد ارتقى وصعد بعض الشىء ، وأصبح جديرا بالنظر الى السماء أولا .. ثم بالنظر فيها ثانيا ، ثم بقياس مالا يرى على ما يرى ، واستنباط نتائج محققة سامية من مقدمات بسيطة ميسورة .

والاسلام لم يشأ أن يقفز بهؤلاء قفزة قد تكون فوق مستواهم العقلى ، لهذا وقف بهؤلاء ريثما يعدهم للدرجة التى تليها وهى درجة النظر فى ابداع السموات وسير الكواكب فى أفلاكها .. وفى هذا يقول الله تعالى :

---

(١) سورة ق الآيات من ٦ — ٨ .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤ .
(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٥ .

وقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١)

الطريق الثانى ــ (الاسباب والمسببات) :

والاسباب والمسببات طريق من طرق المعرفة فى الاسـلام وهو طريق لفريق من البشر ، لان كثيرا من الناس لا يقتنع الا بافاعيل الاسباب فى مسبباتها ولا يرضيه سوى التأمل فى نشوء المسببات عن اسبابها .. وهذا الطريق يصل ما بين الارادة والوجدان ويضع الخطوط المثالية للسلوك . وهذا الطريق يمكن الأسباب والمسببات من الصعود الى ما وراء الطبيعة ليصل الانسان الى معرفة الخالق وعظمته وعدله وحسابه وجزائه .

وكيفية استعمال هذا الطريق يقول عنها أحد قادة الفكر :

« هى ان المستدل ينظر أولا الى ما حوله من المرئيات ، ثم يحاول ان يتبين اسبابها المباشرة اى المؤثرة فيها بلا اية واسطة ، فاذا تبينها اسرع الى الاغضاء عن سببيتها واعتبرها مسببات لما

---

(١) سورة الروم الاية رقم ٢٥ .

قبلها ثم بادر الى البحث عن التى قبلها فاذا اهتدى اليها سلك بازائها نفس مسلكه بازاء ما سلف ، حتى ينتهى الى الحق الذى هو الغاية المنشودة والنهاية المقصودة »(١) .

وهذا شيء من آيات السببية والمسببية الدالة على وجود المبدع ؛ او الدالة على البعث وامكانه . قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

---

(١) المعرفة فى ظل الاسلام ص ٤٦ .
(٢) سورة ق الآية رقم ٩ — ١١ .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (1)

وقال تعالى

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (2)

---

(1) سورة النحل الآيات من ١٠ — ١٣ .
(2) سورة الحجر الآيات من ١٩ — ٢٣ .

وقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١)

ومن طريق الاسباب والمسببات وصل المفكرون الى اسرار الكون وخفايا الوجود ومعرفة الخالق جل وعلا .

الطريق الثالث — (طريق المعقولات المحضة) :

ويمكن العثور على ذلك فى قوله تعالى :

((وفى انفسكم افلا تبصرون)) والمعقولات المحضة لا يدركها الا علية الصفوة من المفكرين والتى يغلق الباحث عندها اعين المادة والذهن المعتمد على الحواس ، ويفتح عين القلب النقى لينفذ بواسطة نوره الى ما وراء حجب المرئيات فيتفكر فى ملكوت المعقولات والذى لا يقاس به ملك المحسوسات لان النسبة بينهما منعدمة بالطبع))(٢) .

الطريق الرابع — (طريق البديهيات العقلية) :

والبديهيات قضايا عامة شديدة العموم يضعها العقل ويسلم بصدقها وتبدو كأنها مركزة فى العقل ، فهى ضرورية لا يمكن اقامة البرهان على صحتها مثل :

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ٣٩ .
(٢) المعرفة فى الاسلام ص ٨٢ .

(أ) الكميات المساويات الثالث متساويات .

(ب) اذا اضيفت كميات متساوية الى اخرى متساوية كانت النتائج متساوية .

والبديهيات تستخدم كمقدمات لاستنباط النتائج التى تترتب عليها ، وقد اختلف الباحثون فى نشأة البديهيات . فذهب العقليون الى ان البديهيات قواعد عامة وضرورية فلا يستطيع العقل انكارها ولا تناقض .

وذهب التجريبيون الى انها من اصل حسى وانها مكتسبة بالملاحظة والتجربة .. على كل حال ، فهذا الطريق يعد فى عالم الفكر المنطقى المحض اسمى الطرق واقربها الى القمة ، وادناها الى اوج الكمال الانسانى . وهذا الطريق منبثق من داخل النفس، مؤسس على الحق الواضح الثابت ، وهو الفكر المحتوى فى آية : « **وفى انفسكم افلا تبصرون** » .. ومجمل هذا الفكر ان كلا من المؤمن والجاحد والمرتاب يصدر فيما يذهب اليه عن فكر .. وهناك طرق اخرى كثيرة لا تقل شأنا عما سبق مثل الآيات الكونية فى الانسان . وفى الكائنات الحية ، وفى النبات ، وفى العالم العلوى ، وفى الأرض وما عليها . ومن كل هذا يتبين ان طرق المعرفة فى الاسلام تلائم الانسانية كلها حسب درجاتها فى الكمال الفكرى .. وان القرآن الكريم خاطب الناس على قدر ثقافتهم وفكرهم ليصل بهم الى ذروة ما قدر لكل من الفهم والادراك .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهـــرس

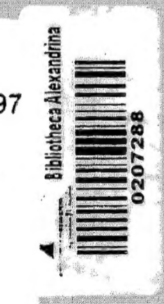
- المقدمـــــــة ٣

- **القسم الأول : الاسلام والانسانية** ٧
  - انسانية الانســــان ٩
  - الانسان والاســـلام ٢٢
  - الاخاء والتقدم الحضارى ٣١
  - المســلمون والتضـــامن ٥٣
  - المسلمون وخصائصهم ٦٠
  - خلق الصدق واثره فى حياة الامة ٧٥
  - اثر الصدق فى قوة الايمان ٨٢

- **القسم الثانى : العلم والحضارة الاسلامية** ٨٩
  - الأمالى والعلوم ٩١
  - العقلية العلمية فى الاسلام ١٠٢
  - العلم والحضـــارة ١١٩
  - الاســـلوب العلمى ١٣٩
  - المسلمون والحضـــارة ١٥٥
  - بين الفلسفة والاســـلام ١٦٧

رقم الايداع بدار الكتب ٧٠٤٠ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى ٩٧٧-٠٣-٠٠٤٢-٨ ISBN

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



مطابع الأهرام بكورنيش النيل

الثمن ١٨٠ قرشاً